المكتب العربي ودوره في رسم السياسة البريطانية في المنطقة العربية (١٩١٦-١٩٢١)

دكتورة سارة محمود عبد الحليم الشيخ

(مدرس التاريخ الحديث بكلية البنات جامعة عين شمس)

الملخص

عند اندلاع الحرب العالمية الاولي بين دول الوسط ودول الوفاق اسرعت بريطانيا لاتخاذ الإجراءات الدفاعية اللازمة لحماية مصالحها الاستراتيجية في المنطقة العربية وحماية الطرق المؤدية الي إمبراطورتها في الهند، لكنها ومع بدء رحى الحرب منيت قواتها بهزيمة ساحقة امام القوات العثمانية في معركة غاليبولي عام ١٩١٥م بأوروبا وحوصر جيشها في كوت العمارة في العراق، وكان لابد من البحث عن طرق اخري لتخفيف الضغط علي القوات البريطانية علي جبهات القتال المختلفة وفتح جبهة قتال جديدة تشغل القوات العثمانية وتشتت تركيزها، وتمكن القوات البريطانية من تحقيق نصر حاسم عليها وهزيمتها.

هنا رأي مجموعة من السياسيين البريطانيين، ان الحل ربما يكمن في استغلال الروح القومية العربية المتأججة ضد العثمانيين واشعال ثورة في المنطقة العربية ضد الدولة العثمانية وتوجيهها لتخدم المصالح البريطانية في المنطقة، لكن بريطانيا كان ينقصها الكثير من المعلومات عن شعوب وقبائل المنطقة العربية وتطلعاتهم، فجأت من هنا فكرة مارك سايكس الخبير البريطاني في شئون المنطقة العربية بإنشاء مكتب استخباراتي متخصص في الشئون العربية والإسلامية.

وبناء على ذلك تم انشاء المكتب العربي في القاهرة في يناير عام ١٩١٦م، ليكون اول مكتب استخباراتي ينشأ خصيصا للمنطقة العربية وجعلت الحكومة البريطانية هدفه الأساسي هو رسم السياسة البريطانية في المنطقة العربية والاتصال

بالعرب وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات الدقيقة عن أحوال المنطقة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الجغرافية.

وقد ضم المكتب العربي مجموعة منتقاه من علماء الاثار والرحالة البريطانيين والخبراء في الشؤون العربية، علي رأسهم هوجارث عالم الاثار البريطاني ورئيس الجمعية الجغرافية الملكية في لندن، وكذلك لورنس الشهير بلورنس العرب وجيرترود بيل عالمة الاثار والرحالة البريطانية التي حازت علي شهرة ومكانة كبيرة في العراق، ونجح المكتب واعضاؤه إلى حداً بعيداً في الاتصال بالعرب وتوجيه الثورة العربية في الجزيرة العربية ودعمها وضمان نجاحها، كما كان لفرع المكتب في العراق دور كبير في تهيئة الأوضاع داخل العراق للاحتلال العسكري البريطاني لها، كما لعب أعضاء المكتب العربي دورا بالغ الأهمية بعد انتهاء الحرب في رسم السياسة البريطانية إزاء العالم العربي، وإقناع تشرشل وزير المستعمرات في اعقاب الحرب بوضع الأمير عبد الله بن الحسين علي عرش امارة شرق الأردن ووضع الامير فيصل بن الحسين علي عرش العراق .

ولم يقتصر دور هذا المكتب على الجزيرة العربية والعراق فقط بل أصدر أعضاؤه دراسات دقيقة ومستفيضة عن معظم البلدان العربية وطبع المكتب كتيبات عن اليمن والحجاز والجزيرة العربية وأصدر نشرات دورية عرفت بسم النشرات العربية جاءت في اكثر من الفي صفحة تضمنت ادق التفاصيل عن أوضاع المنطقة العربية اثناء الحرب العالمية الاولي وما بعدها، وتعد مصدراً دقيقاً وموثقاً يعتمد عليه الباحثون حتي الان لدراسة أوضاع المنطقة العربية في هذه الفترة الدقيقة من تاريخ المنطقة.

الكلمات المفتاحية

المكتب العربي، السياسة البريطانية، العالم العربي، الحرب العالمية الاولي، لورنس العرب، جيرترود بيل.

The Arab Bureau and its role in shaping British policy in the Arab region (1916-1921)

DR. Sara Mahmoud Abd Elhalim Elshiekh
Lecturer of Modern History
Faculty of Women
Ain-Shams University

At the outbreak of the First World War between the Central and the Complicated States, Britain was quick to take the necessary defensive measures to protect its strategic interests in the Arab region and to protect the roads leading to its empire in India. However, as the war began, its forces suffered an overwhelming defeat in the Battle of Gallipoli in 1915 in Europe. In Kout El Amera in Iraq, and had to search for other ways to relieve the pressure on British forces on the various fronts and the opening of a new fighting front occupying the Ottoman forces and dispersed focus, and enable the British forces to achieve a decisive victory over And her defeat.

Here is the view of a group of British politicians, that the solution may be to exploit the Arab nationalist spirit heated against the Ottomans and ignite a revolution in the Arab region against the Ottoman Empire and directed to serve the interests of the British in the region, but Britain lacked a lot of information about the peoples and tribes of the Arab region and aspirations, Here is the idea of Mark Sykes, the British expert on Arab affairs, with the establishment of an intelligence office specializing in Arab and Islamic affairs.

Accordingly, the Arab Bureau was established in Cairo in January 1916 to be the first intelligence office to be established specifically for the Arab region. The British Government has made its main objective: to formulate British policy in the Arab region and to connect with the Arabs and gather as much accurate

information as possible about the political, economic and social conditions of the region. Geographically.

The Arab Office has included a selection of British archeologists, British explorers and experts in Arab affairs, headed by Hogarth, the British archaeologist and head of the Royal Geographical Society in London, as well as the famous Laurence of Lawrence of Arabia and the British archeologist and historian Gertrude Bell, who has gained fame and status in Iraq. The Office and its members have reached a far end in contact with the Arabs and guide the Arab revolution in the Arabian Peninsula and support and ensure success. The branch of the Office in Iraq has played a large role in preparing the situation inside Iraq for the British military occupation, And to convince Churchill, after the war, to place Prince Abdullah bin Hussein on the throne of the eastern Jordan emirate and put Prince Faisal bin al-Hussein on the throne of Iraq.

It has not only limited its role to the Arabian Peninsula and Iraq, but has also issued accurate and extensive studies on most Arab countries. The Office has printed pamphlets on Yemen, Hijaz and the Arabian Peninsula and has issued regular bulletins known as Arabic bulletins. And is an accurate and reliable source that the researchers have relied on so far to study the situation of the Arab region in this delicate period of the history of the region.

Key words:

Arab Bureau, British policy, Arab world, The First World War, Lawrenc of Arabia ,Gertrude Bell

المكتب العربي ودوره في رسم السياسة البريطانية في المنطقة العربية (١٩١٦-١٩٢١)

دكتورة سارة محمود عبد الحليم الشيخ

(مدرس التاريخ الحديث بكلية البنات جامعة عين شمس)

لعبت بريطانيا دوراً بالغ الأهمية في تاريخ المنطقة العربية فهي من أكثر الدول الاستعمارية التي كان لها أطماع واسعة في العالم العربي واستعمرت أجزاء كبيرة منه لفترة زمنية طويلة الأمد، كما انها لها الباع الأكبر في إعادة تقسيم المنطقة العربية في أعقاب الحرب العالمية الأولي ورسم خرائط سياسية وجغرافية جديدة لها وفقا لمصالحها ومصالح حلفائها الأوروبيين (اتفاقية سايكس – بيكو، تصريح بلفور).

وقد استندت بريطانيا في معظم قرارتها المهمة في المنطقة العربية على معلومات استخباراتية دقيقة عن كل منطقة رغبت في فرض حمايتها عليها واحتلالها، واستمدت معلوماتها من مكاتب استخباراتية شُكلت خصيصا لمنطقة الشرق الأوسط.

فقد أسست الإدارة البريطانية أثناء الحرب العالمية الأولي مكتب استخباراتي في القاهرة سمي "المكتب العربي"، وهو أول مكتب يُنشأ في المنطقة العربية خصيصا لهذا الغرض، وقد شارك هذا المكتب وأعضاؤه في رسم السياسة البريطانية في المنطقة العربية أثناء الحرب العالمية الأولي وما تبعها من تسويات ومعاهدات انعكست بشكل كبير على الأوضاع في العالم العربي، فما هي ظروف تكوين هذا المكتب؟ وما هو الدور الفعلي له في المنطقة؟

الظروف التي دفعت بريطانيا لتأسيس "المكتب العربي".

مثلت الحرب العالمية الأولي حدثا فاصلا عميق الأثر في تاريخ الأمة العربية والمشرق العربي بشكل خاص، فعلي أثر هذه الحرب أعيد صياغة المنطقة وتقسيمها وفقا لمصالح الدول الاستعمارية الكبرى.

فعندما نشبت الحرب العالمية الأولي في أغسطس عام ١٩١٤م، لم يكن قد بقي من أقطار العالم العربي كله تحت الحكم العثماني سوي أقاليم الهلال الخصيب (بلاد ما بين النهرين أي العراق والشام) بالإضافة إلى بعض أجزاء من شبه الجزيرة العربية [١].

أما باقي أجزاء العالم العربي فقد استولت عليه الدول الاستعمارية الكبرى الواحدة تلو الأخرى، فقد استولي الفرنسيون على الجزائر عام ١٨٣٠ م، وعلى تونس عام ١٨٨١م، وعلى المغرب عام ١٩١٢م، واستولي الايطاليون على ليبيا عام ١٩١١م، واستولي البريطانيون علي عدن عام ١٨٣٩م، وعلى مصر عام ١٨٨٢م، واخضعوا السودان عام ١٨٩٩م لسيطرتهم الفعلية، وسعوا إلى انهاء الوجود العثماني في المشرق العربي ومنطقة الخليج العربي والهلال الخصيب والحجاز واليمن[٢].

وحتى المناطق التي ظلت تخضع فعليا للحكم العثماني ممثلة في المشرق العربي والجزيرة العربية فكانت أوضاعها مُضطربة وغير مستقرة.

فبلاد الشام والعراق قد شهدت قبيل اندلاع الحرب ظروفاً سياسية متباينة، وظهر فيها تيار فكري ينادى بالقومية العربية، في مواجهة محاولات التتريك والفكرة الطورانية التي سارت عليها حكومة الاتحاديين بعد وصولها للحكم في تركيا علي أثر اطاحتها بالسلطان عبد الحميد الثاني في أبريل ١٩٠٩م، وفشلت الجهود التي بُذلت لإقناع الاتحاديين بمنح العرب حقوقهم المشروعة في الحكم اللامركزي[٣].

فاتسعت شُقة الخلاف بين العرب والاتحاديين وتبلورت الدعوة إلى القومية العربية في ظهور جمعيات سرية وعلنية في الأقطار العربية وفي أوروبا تنادي بوحدة العرب في المشرق والمغرب والتخلص من الحكم العثماني، وكان من بين هذه الجمعيات الجمعية القحطانية، وجمعية العربية الفتاة التي تأسست عام ١٩١٠م، في باريس، ولجنة الإصلاح التي تأسست في بيروت عام ١٩١٢م، وغيرها الكثير.

وقد حاولت هذه الجمعيات تنظيم صفوف العرب داخل الوطن العربي وخارجه للحصول على الحقوق المتساوية داخل الدولة العثمانية في بادي الامر، ثم تطور الامر للمطالبة بالاستقلال التام للأمة العربية.

وعقد القوميون العرب أول مؤتمر لهم في باريس عام ١٩١٣م، بحضور مندوب عثماني هو مدحت شكري وبرعاية فرنسا وأصدر المؤتمر مجموعة من القرارات كانت في مجملها مطالب لتدعيم حقوق العرب داخل ولايتهم كالمطالبة بالإصلاح السريع والمشاركة في الإدارة المركزية وجعل اللغة العربية لغة رسمية في كافة الولايات العربية.

وأمام الدعم الدولي وبخاصة القوي الاستعمارية لهذه الجمعيات العربية، عمل الاتحاديون علي مهادنة القوميين العرب فقبلوا بقرارات المؤتمر العربي في باريس عام ١٩١٣م، الا ان هذه المهادنة لم تلبث ان تحولت الي صدام[٤] بخاصة بعد إصرار الاتحاديين علي تجاهل مطالب القوميين والعمل علي التخلص منهم واتهامهم بالخيانة .

اما الجزيرة العربية وامارة الحجاز فالأوضاع داخلهم لا تختلف كثيرا عن بلاد الشام ، فأمير الحجاز الشريف حسين توترت علاقته بشكل كبير مع الدولة العثمانية ، فسياسة الاتحاديين المركزية، والتي تقوم علي أساس ربط الولايات العثمانية شبه المستقلة ربطا محكما بالدولة العثمانية، وسعيهم إلى تحطيم نظام الشرافة في مكة بمدهم خط سكة حديد الحجاز من المدينة إلى مكة ليسهل عليهم ربط الحجاز كله باتصال سريع بالسلطات العثمانية في سوريا والحجاز، كل هذا أدى إلى ازدياد العلاقات سوءً بين الشريف حسين وحكومة الاتحاديين في اسطانبول الذين عمدوا بعد ذلك إلى تعيين وهيب باشا واليا علي الحجاز علي ان يجمع السلطة المدنية والعسكرية في يده ويحاول القضاء علي نظام الشرافة، وكانت كل هذه المشروعات العثمانية تقلق بال الشريف حسين الذي رأي ان اصطدامه بالدولة العثمانية أصبح وشيك الوقوع فأخذ يتطلع الي دولة كبرى لمساعدته وهي بريطانيا.

بدأ الشريف حسين اتصالاته الأولى بالإنجليز في عام ١٩١٢م، فأرسل ابنه عبد الله في زيارة إلى كتشنرKitchener المعتمد البريطاني في القاهرة وعرض عليه الموقف في الحجاز وسأله عن موقف إنجلترا إذا نشبت الحرب بين الشريف حسين

والدولة العثمانية، ثم تتابعت المقابلات بين عبد الله ورولاند ستورز Roland Storrs السكرتير الشرقي في دار المعتمد البريطاني [٥].

إلا ان كتشنر والمسئولين البريطانيين في القاهرة رغم استنكارهم لسياسة الاتحاديين رفضوا في الوقت ذاته التورط في تقديم أي مساعدة للشريف حسين، لان بريطانيا كان يحدوها الأمل في صداقة الدولة العثمانية، غير ان هذه الاتصالات الأولى لفتت انظار الانجليز الي إمكانية استغلال (المسألة العربية) في حالة قيام حرب بين إنجلترا والدولة العثمانية. [٦]

هذا عن الحجاز اما باقي أجزاء الجزيرة العربية فقد كانت تمزقها الأطماع والحروب الأهلية والصراعات القبلية[٧] ، اذ كانت هناك عداوة تاريخية فيما بين القوتين الرئيسيتين في وسط الجزيرة العربية ، قبيلة ال سعود وقبيلة ال رشيد ، فقبيل الحرب العالمية الأولى بسنوات قليلة علا نجم عبد العزيز بن سعود وتمكن بمساعدة شيخ الكويت من استعادة الأراضي التي فقدها أسلافه واسترد الرياض والاحساء العثمانية وطرد الحامية العثمانية منها وعزز موقعه علي شواطئ الخليج، بمساعدة من بريطانيا التي مدته بالسلاح والمال، في حين ساندت الحكومة العثمانية الاسرة المنافسة له اسرة ال رشيد[٨] .

وأصبح ابن سعود صديقا للممثل السياسي البريطاني في الكويت الكابتن شكسبير Shakespeare الذي بذل عدة محاولات لأقناع الحكومة البريطانية بأهمية هذا الأمير وإمكانية الاعتماد عليه في المستقبل القريب لكن لم يلبث أن قُتل شكسبير أثناء أحد المعارك بين ابن سعود وابن رشيد [٩] على هذا النحو كانت أوضاع المنطقة العربية الخاضعة للدولة العثمانية عشية قيام الحرب العالمية الاولي.

وفي ظل هذه الأوضاع وبالتحديد في ١٤ نوفمبر عام ١٩١٤م، أعلنت الدولة العثمانية رسميا دخولها الحرب إلى جانب دولتي الوسط (ألمانيا وإمبراطورية النمسا والمجر) ضد دول الوفاق (بريطانيا وفرنسا وروسيا)، ودعا السلطان المسلمين في

أنحاء العالم إلى الجهاد ضد دول الوفاق، واثارت هذه الدعوة مخاوف هذه الدول على الرغم من ضعف اثارها على المسلمين في أنحاء العالم(١٠).

وقد أدى اعلان الدولة العثمانية الحرب إلى تهديد المصالح البريطانية في المنطقة العربية بشكل خطير، فالوجود العثماني في المشرق العربي يشكل تهديداً مباشراً لبريطانيا، بسبب وقوع المشرق العربي علي الطريق المؤدي إلى الهند واطلاله علي البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي وبحر العرب والمحيط الهندي وتهديده بلاد فارس ومصفاة النفط التابعة للشركة الانجلو فارسية في عبدان، ناهيك عن سلاح الجهاد الديني الذي اشهرته الدولة العثمانية في وجه اعدائها، ومن ثم حاولت بريطانيا درأ هذا الخطر الذي يهددها ويهدد مصالحها قبل حلفائها(١١).

لذلك وضعت نصب عينيها هدفاً واحداً وهو طرد العثمانيين من بلاد الشام والعراق بأي شكل ممكن، فاحتلت القوات البريطانية جزيرة البحرين واتخذتها قاعدة عسكرية للحملة ضد العراق، ونزلت القوات العسكرية البريطانية إلى البر عند شبه جزيرة الفاو حيث يصب شط العرب في الخليج، وقد توالت الامدادات من الهند لتدعيم الحملة العسكرية البريطانية حتي استطاعت الحملة احتلال مدينة البصرة في ٢٣ نوفمبر عام ١٩١٤م ، واستمر تقدم الحملة فاحتلت " القرنة "حيث يلتقي نهر دجلة بنهر الفرات، وهزمت القوات العثمانية في "الشعيبية " في ٢٢ ابريل عام ١٩١٥م ، واحتلت كوت العمارة في أوائل شهر يونيو عام ١٩١٥م ، كما احتلت " الناصرية " في ٢٥ يوليو عام ١٩١٥م ، وبذلك حققت حكومة الهند باحتلال ولاية البصرة الهدف المباشر من هذه الحملة العسكرية وهو حماية آبار النفط وانابيبه ومصافيه ، لكن هذا التقدم البريطاني في الأراضي العراقية ما لبث ان مُني بهزيمة نكراء علي يد القوات العثمانية في كوت العمارة (١٢).

وفوجئت القوات العسكرية البريطانية بقوة الجيش العثماني وتماسكه علي جبهات القتال المختلفة فقد هاجمت القوات العثمانية مواقع بريطانية في منطقة قناة السويس في بداية الحرب، وهزم الجيش العثماني قوات الفرنسيين والبريطانيين وقوات الكومنولث

في معركة غاليبولي عام ١٩١٥م، وحوصرت القوات البريطانية في كوت العمارة (١٣).

وقد جاءت هذه الهزائم المتتالية للقوات البريطانية لتشير لمدي تخبط الإدارة البريطانية ونقص معلوماتها الاستخباراتية إزاء العالم العربي.

فعلي الرغم من وجود القوات العسكرية البريطانية في المنطقة العربية منذ سنوات إلا انها تجهل الكثير من المعلومات عن شعوب المنطقة وقبائلها واعراقها وافكارها وتوجهاتها.

فقد كانت المنطقة العربية منذ بداية القرن العشرين تعج بعمليات جمع المعلومات الاستخباراتية وبأعمال الدبلوماسية السرية، ولم تكن بريطانيا تمتلك في هذا الوقت مكتب استخبارات دولي واحد عن المنطقة العربية في لندن او في أي منطقة اخري، وكانت وزارة الخارجية تستخدم بعض الهواة والمغامرين ممن يعملون بالمجان في جمع التقارير اثناء رحلاتهم الاستكشافية وكان هناك عدد قليل من هؤلاء الهواة يذهب إلى منطقة الشرق الأوسط، حيث تكثر مخاطر السفر ويسود غياب القدرات اللغوية ومعرفة عادات الصحراء واعرافها ووجود مناطق لا تظهر في الخرائط المعروفة .

أضف إلى نقص هذه المعلومات عاملاً اخر كان له اكبر الأثر في إضعاف القوات البريطانية وهو تخبط الإدارة البريطانية في اتخاذ القرار فقد كان هناك ما يقرب من عشرين إدارة حكومية وعسكرية مختلفة تشارك في صياغة السياسة البريطانية إزاء المنطقة العربية خلال الحرب ، فهناك مجلس الحرب ، وقيادة الاسطول ، والوزارة الحربية ، والجهاز الإداري في الهند ، ومثيله في مصر والسودان ، بالإضافة إلى ثلاث قوات استكشافية كبري متمركزة في العراق والاسماعيلية والإسكندرية ، كما ان هناك مؤسسات سياسية واخري تابعة للأسطول في اربع مناطق رئيسية وبالتالي لم يكن من المستغرب وجود تضارب في الاتصالات وحتي في اتخاذ القرار(١٤).

ومع تطور رحى الحرب على الجبهات المختلفة للقتال ازداد موقف القوات البريطانية سوءً يوماً بعد يوم، فقد اضطرت القوات إلى الجلاء عن غاليبولي بعد

هزيمتها هناك، واستسلمت القوات البريطانية المحاصرة في كوت العمارة للقوات العثمانية هناك [١٥] وخسر البريطانيون قواتهم البالغة حوالي ١٣ ألف جندي[١٦].

وكان لابد من البحث عن حلول سريعة لهذا الوضع، وظهر انقسام في الرأي في الإدارة البريطانية حول معالجة هذا الوضع الحرج للقوات البريطانية ما بين أصحاب المدرسة القديمة القائلة بأنه لا سبيل لتحقيق النصر علي الدولة العثمانية الا من خلال القتال وإلحاق الهزيمة بالقوات التركية في ساحات الحرب المختلفة، وقد دافعت حكومة الهند البريطانية بقوة عن هذا الرأي والجنرال ارشيبالد موراي Archibald Murray قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط.

ورأت مجموعة اخري من السياسيين البريطانيين في الإدارة البريطانية في القاهرة (وهو ما سمي بمدرسة القاهرة) في ان الحل الأمثل لإحراز نصر علي الدولة العثمانية في هذه الحرب يكمن في فتح جبهة اخري ضدها في المنطقة العربية باستغلال الروح القومية العاصفة في نفوس الشعوب العربية ودعمهم للقيام بثورة ضد الدولة العثمانية [١٧].

وتبني هذا التيار مجموعة من كبار السياسيين البريطانيين من أمثال كيتشنر واللورد هنري ماكماهون Henry McMahon المندوب السامي البريطاني في القاهرة، ورونالد ستورز السكرتير الشرقي في مكتب المعتمد البريطاني في القاهرة، وهو دبلوماسي بارز وخبير في شؤون الشرق الأوسط، وجورج لويد George Lloyd وهو دبلوماسي بارز عُين بعد ذلك وزيرا في الحكومة البريطانية، والكولونيل كلايتون G.F. Clayton وهو خبير بشؤون الشرق الأوسط ، ومارك سايكس Mark Sykes، وكورنواليس Cornwallis والضابط لورانس T.E.Lawrence الذي كان يعمل في قسم الخرائط التابع للقيادة البريطانية العليا [١٨].

ورأي لورنس ضرورة وجود إدارة موحدة لجمع المعلومات عن المنطقة العربية ودراسة الشؤون العربية ورسم السياسة البريطانية ازاءها بناء على هذه المعلومات اثناء الحرب وما بعدها[١٩]

وكان مارك سايكس السياسي البريطاني الخبير بشؤون المنطقة العربية من أكثر المتحمسين لإقامة وحدة استخباراتية موحدة خاصة بالمنطقة العربية تكون مهمتها الأساسية الاتصال بالعرب واستغلالهم للقيام بثورة ضد الدولة العثمانية.

وآمن سايكس تماما بفكرته وبنجاح هذه الثورة وقدرتها على خدمة المصالح البريطانية في المنطقة ومساعدة القوات البريطانية على احراز نصراً سريعاً على الدولة العثمانية في الحرب وبالتالي حسم الحرب لصالح بريطانيا في النهاية.

وبالفعل وضع مارك سايكس رؤية متكاملة لفكرة انشاء مكتب استخباراتي في القاهرة واهداف هذا المكتب والمهام التي يجب ان ينوط بها ، ودون كل هذا في مذكرة تقدم بها للحكومة البريطانية في لندن في ديسمبر عام ١٩١٥م ، شملت مقترحات لتأسيس مكتب استخباراتي خاص بالشؤون العربية والإسلامية علي ان يكون مقره القاهرة ، وهدفه الأول والاساسي هو رسم السياسة البريطانية في الشرق الأدنى ، بالتعاون مع مكتب الحرب وحكومة الهند البريطانية، واعلامهم بتطور السياسة الألمانية والعثمانية في المنطقة علي ان يقدم هذا المكتب تقريراً اسبوعياً إلى لجنة الدفاع الامبراطوري لتوزيعها علي الإدارات المختلفة في لندن[٢٠] .

إلى جانب قيام المكتب المقترح انشاؤه بمراقبة الدعاية الألمانية والتركية ونشر دعاية مضادة لهما في مصر وغيرها من البلاد العربية عن طريق عملاء ووكلاء محليين يتم اختيارهم للعمل لصالح المخابرات البريطانية، ومتابعة جميع المواد الصادرة في الصحافة العربية وعمل تقرير اسبوعي عنها، ونشر دعاية لصالح الحلفاء في الصحف العربية المحلية [٢١].

وقد لاقي هذا الاقتراح تأييداً واضحاً من الإدارة البريطانية في القاهرة واكد مكماهون المعتمد البريطاني في القاهرة على حاجة بريطانيا الملحة لهذا المكتب الاستخباراتي في هذا الوقت اثناء الحرب وما سيتبعها من تسويات لاحقة، واقترح ان يكون مقره القاهرة، ورشح مكماهون السير مارك سايكس وهوجارثHogarth لتأسيس

هذا المكتب واختيار أعضائه لان مساعدتهم كخبراء في منطقة الشرق الأوسط لا تقدر بثمن نظرا لخبراتهم الكبيرة بشؤون المنطقة العربية[٢٢] .

في حين قوبل هذا المقترح المبدأى الذي تقدم به مارك سايكس بهجوم شديد ورفض قاطع له من قبل حكومة الهند البريطانية التي اعتبرته تعدياً علي اختصاصاتها ، فهاجمته بشدة وأكدت علي معارضتها بشكل كامل لإنشاء المكتب المقترح في القاهرة محذرة من القيام بأي دعاية إسلامية في الهند من خلال الصحافة أو المنشورات وان أي دعاية لها علاقة بالإسلام لابد ان تخضع لمراقبة دقيقة قبل النشر من قبلها لحساسية الوضع في الهند، وشككت في مدى قدرة الافراد العاملين في هذا المكتب علي فهم أهمية المعلومات العسكرية الواردة إليهم وعارضت تعيين موظف ممثل لهذا المكتب في الهند أو في بلاد ما بين النهرين (العراق) وطالبت ان يكون هذا المكتب اذا انشأ تابعاً لأداره حكومة الهند البريطانية [٢٣].

المكتب العربي في القاهرة (تنظيمه ومهامه).

رغم رفض حكومة الهند البريطانية فكرة إنشاء مكتب استخباراتي في القاهرة إلا ان هذا لم يثن الحكومة البريطانية في لندن عن هذه الفكرة التي ايدتها منذ اللحظة الأولى، بخاصة انها في حاجة ماسة لمثل هذا المكتب في المنطقة العربية ليساعدها على رسم سياستها في هذه المنطقة علي أسس سليمة خلال الحرب وخلال التسويات اللاحقة فيما بعد انتهاء الحرب، والقاهرة هي المكان الأمثل لتكون مقراً لهذا المكتب الاستخباراتي، لأنها تعتبر أفضل مركز لجمع المعلومات وللقيام بهذه النشاطات.

لذلك بدأ رئيس الوزراء البريطاني هربرت أسكويث Herbert Asquith في اتخاذ خطوات جادة لإنشاء هذا المكتب الاستخباراتي علي وجه السرعة فدعا إلى عقد مؤتمر بين الإدارات البريطانية المختلفة للنظر وبشكل عاجل في إنشاء هذا المكتب لخدمة المصالح البريطانية في المنطقة العربية [٢٤].

وبتاريخ ٧ يناير عام ١٩١٦ م، عقد الاجتماع بالفعل وحضره مندوبون عن كافة الإدارات البريطانية فحضره مندوب عن مكتب الحرب ووزارة الخارجية ومكتب الهند ومارك سايكس، الذي وضعت مذكرته كأساس للنقاش حول دستور ومهام المكتب الاستخباراتي المقترح تشكيله في القاهرة ، وتمحورت أكثر الاعتراضات حول مسمي المكتب الذي اقترحه سايكس بـــ " المكتب الإسلامي " فقد رؤي تسميته بالمكتب "العربي" افضل لان الإسلامي تعني ان مهام ووظائف المكتب سوف تشمل العالم الإسلامي كله بما في ذلك مسلمي الهند وايران وهذه المناطق تحت إدارة حكومة الهند التي ارادت ان تحصر مهام هذا المكتب في المنطقة العربية فقط لا غير . وتم بالفعل الاتفاق بالإجماع بين كافة الإدارات على تسميته بال "المكتب العربي ".

اما فيما يخص تنظيم ومهام "المكتب العربي" فقد اتفق على ان تكون المهمة الأولى له هي رسم السياسة البريطانية في الشرق الأدنى، بالتنسيق مع الإدارات الأخرى كوزارة الخارجية وحكومة الهند ولجنة الدفاع الامبراطوري ومكتب الحرب، واطلاعهم على الاتجاه العام للسياسة الألمانية والتركية، وإعداد الدعاية المؤيدة لبريطانيا في المنطقة العربية.

أما آليات العمل والتقارير الصادرة عن المكتب فتقرر ان يكون المكتب تحت إشراف وزارة الخارجية والمخابرات العسكرية البريطانية ويقوم المكتب بتقديم تقرير مرة واحدة في الشهر يرسل من خلال المفوض السامي البريطاني في القاهرة إلى وزارة الخارجية التي تقوم بدورها بتوزيعه على الإدارات المختلفة في لندن على ان يقدم نسخة من هذا التقرير إلى المقيم السياسي في عدن وبلاد الرافدين ومسؤول المخابرات في الإسكندرية والمفوض السامي في القاهرة وحكومة الهند وسردار السودان.

ومن مهام المكتب أيضا تزويد وزارة الخارجية بالمعلومات والصحافة المحايدة، وتزويد حكومة الهند بالصحافة العالمية، والعمل على تحفيز الشعور المؤيد لبريطانيا

والمعادي لألمانيا في مصر والدول العربية وتركيا عن طريق عملاء محليين وكذلك في عدن وبلاد ما بين النهرين والخليج الفارسي.

على ان يبقي المكتب على اتصال وثيق بالسلطات المحلية الفرنسية بشأن جميع المسائل التي تهم المصالح الفرنسية المباشرة في المنطقة العربية.

وتم الاتفاق على ان تكون مصر وبالتحديد القاهرة المقر الرئيس والدائم "للمكتب العربي" لان مصر هي أفضل مركز له نظرا لاستقرار الأوضاع فيها وسهولة جمع المعلومات الاستخباراتية فيها، على ان يكون في المكتب ممثلون لحكومة لندن وحكومة الهند وبلاد ما بين النهرين (العراق)[٢٥] .

وبناء على توصيات هذا المؤتمر والمجتمعين فيه تم إنشاء "المكتب العربي" في القاهرة، في يناير عام ١٩١٦م، وارسلت حكومة الهند البريطانية ممثلا عنها للعمل في مكتب القاهرة وهو ارثر براونلو فوردArthur Brownlow Ford [٢٦] وهو خبير في الشئون العربية وكان يعمل في إدارة المخابرات البريطانية في السودان [٢٧]

ولان طبيعة بلاد الرافدين (العراق) تختلف عن بلاد الشام فقد روئ ان يكون هناك فرع للمكتب العربي في العراق له عمله الخاص ويكون على اتصال وتنسيق مع "المكتب العربي" في القاهرة وحكومة الهند البريطانية[٢٨] .

واسس بالفعل فرع للمكتب في البصرة سمي (المكتب الشرقي فرع البصرة) تحت رئاسة بيرسي كوكس Percy Cox قائد القوات المسلحة والحاكم البريطاني في العراق [٢٩] وكان من مهامه صياغة العلاقات البريطانية مع وسط الجزيرة العربية والساحل المتصالح ومتابعة الدعاية هناك بالتنسيق مع "المكتب العربي" في القاهرة [٣٠] وتقديم تقارير مفصلة كل أسبوعين عن الأوضاع في العراق والمستجد من وقائع أو معلومات هناك [٣١].

وتم اختيار كلايتون رئيس قلم الاستخبارات المدنية والعسكرية للقيادة العامة للقوات البريطانية في القاهرة كرئيس "للمكتب العربي"،[٣٢] والذي بدوره بدأ في اختيار أعضاء المكتب وموظفيه، وشُكل المكتب في النهاية من ١٥ عضو في مقدمتهم عالم

الآثار هوجارث[*] الذي كان يدير المكتب عمليا، ولورنس وستورز ، ومجموعة اخري من الضباط والعسكريين البريطانيين، وكان العاملون في المكتب يقيمون في فندق غراند كونتيننتال في القاهرة ومكاتبهم في فندق سافوي القريب منه والأكثر فخامة ، وقد ملأ هوجارث والميجور لورنس الأرفف في الغرف بالكتب والمراجع التي تتناول كل الموضوعات المتعلقة بالشرق الأوسط [٣٣].

واستدعيت بعد ذلك عالمة الآثار البريطانية جيرتيرد بيل Gertrude Lowthian Bellلخبرتها العميقة بشؤن الشرق الأوسط، إلى القاهرة للعمل في " المكتب العربي " وهي أول ضابطة في تاريخ المخابرات العسكرية البريطانية، وتم منحها رتبة الميجور أو الرائد.

أما تمويل هذا المكتب وفرعه في العراق فقد تمت مناقشات مطولة بين الخزانة البريطانية والإدارة البريطانية في القاهرة وكذا حكومة الهند البريطانية[٣٤] ، حول ميزانية هذا المكتب ومن أي جهة يتم تمويله، ورفضت حكومة الهند المساهمة في تمويل المكتب وتم الاتفاق في النهاية ان يتم تمويل المكتب واعضائه من الخزانة البريطانية والحكومة البريطانية في القاهرة ووضعت قوائم مبدأيه بمرتبات اعضائه من الخبراء والموظفين [٣٥].

أهم القضايا التي عالجها المكتب العربي.

انصبت مناقشات أعضاء المكتب منذ تأسيسه على الثورة العربية وكيفية استغلالها، وهل تستطيع الثورة العربية التي قد يدعمها البريطانيون القيام بما لم تستطع القيام به قوات قوامها ثلاثمائة ألف جندي في الدردنيل؟

وقد اثار هذا التساؤل صداماً حاداً بين الجهاز الاستعماري التقليدي ممثلاً في مدرسة الهند ومدرسة القاهرة ممثلة في المكتب العربي ووزارة الخارجية البريطانية، فقد كانت وجهة نظر العسكريين والجهاز الاستعماري التقليدي ان كل ما يمكن فعله قد بُذل، ومن وجهة نظرهم فإن القبائل العربية المقاتلة لا تتقن أساليب الحرب الحديثة،

وللرد على هذه الحجة أوضح المكتب العربي ان الحرب الحديثة المنضبطة فشلت في ثلاث جبهات منذ بداية الحرب.

وكان أعضاء المكتب يدركون ان اندلاع التمرد ضد الاتراك هو آملهم الوحيد، وفي الوقت ذاته كان المكتب يدرك تماما ان تحقيق الحركة العربية الموحدة للاستقلال امراً مستحيلاً، اذ من الصعب توحيد ولاءات العشائر كافة في الشرق الأوسط بل كان من الصعب جمع اثنين من الشيوخ للجلوس معا.

وتوصلوا إلى ان الاغراء الوحيد الذي يمكن ان يجذب العشائر للتوحد في وجه العثمانيين ومواجهة الدعوة إلى الجهاد ضد البريطانيين هي وعد العرب بالاستقلال والحرية وقد كان هناك مسبقا شبه وعد صرح به كيتشنر للشريف حسين وفي الإمكان التراجع عنه فيما بعد.

ورغب افراد "المكتب العربي" وفي مقدمتهم لورنس وجيرترود بيل في إعطاء العرب حق الحكم الذاتي المدعوم بمستشارين بريطانيين لتحقيق الاستقرار اذ ان تعدد الأعراق والعشائر والمعتقدات يجعل من المستحيل خلق امة متناغمة لديها مؤسسات سياسية ذات كفاءة، وعارض المكتب كل المحاولات التي تبذل لضم العراق إلى حكومة الهند، لان العراق لها وضع خاص بسبب العشائر والزعامات الدينية المتعددة فيها.

وقد تمسكت مجموعة العاملين في المكتب بآرائها حول تقرير المصير الخاص بالعرب في وجه معارضة حكومة الهند، وكانوا بالكاد قادرين على التحرك إلى الأمام بخطتهم لشن تمرد عربي من دون ان يجدوا دعما من الهند، فقد كان المندوب السامي وحكومته في الهند يعتقدون بشدة انه يجب فرض الحكم البريطاني على جميع العرب وان ذلك سينجح كنجاح الحكم البريطاني في الهند الذي تمكنت منه إدارة الهند باستخدام ٥٠ الف جندي بريطاني فقط[٣٦] .

وقد ظلت الحكومة في الهند مصرة علي مد سيطرتها إلى المنطقة العربية وضم العراق وقد عبر المندوب السامي عن مشاعره بوضوح في خطاب بعثه إلى وزارة الخارجية، وبعدها ظل يعزز معارضة "المكتب العربي" في لندن أيضا[٣٧] ، وقد تصدت

وزارة الخارجية البريطانية في لندن للدفاع عن المكتب ومهامه في المنطقة العربية وأوضحت ذلك في تعليمات واضحة لحكومة الهند وطالبتها بضرورة التعاون مع المكتب واعضائه. (٣٨)

والواقع ان الخلاف بين مدرسة الهند ووزارة الخارجية ممثلة في مدرسة القاهرة والمكتب العربي لم يكن خلاف في الاستراتيجية البريطانية في الشرق الأوسط أو خلافاً في الهدف وهو تحقيق النصر في الحرب وحماية المصالح البريطانية في المنطقة، وانما كان خلاف في طرق ووسائل تحقيق هذا الهدف فبينما كانت حكومة الهند ترى ان التوجه الإسلامي هو الحل في الاعتماد علي عبد العزيز بن سعود في خلق زعامة دينية إسلامية يلتف حولها المسلمون وتقود هي الثورة ، رأي المكتب العربي ان الاتجاه العربي هو الحل وان الشريف حسين هو الذي يمكن ان يقود الثورة العربية ضد الدولة العثمانية .

على اية حال جندت وزارة الخارجية كل امكانياتها لنجاح المكتب العربي في تحقيق أهدافه، بينما تنحت حكومة الهند جانبا بسبب نقص الإمكانيات والأموال وتخلت عن دورها في المنطقة العربية مؤقتا للمكتب العربي، الا ان هذا لم يمنعها من الاستمرار في معارضته بين الحين والآخر(٣٩).

وبدأ المكتب اجتماعات للنقاش الطويل والحاد حول إمكانية هزيمة العثمانيين بأساليب اخري غير تقليدية أي عن طريق التمرد، وقطع خطوط السكك الحديدية وخطف الامدادات وتشجيع العمليات الإرهابية وقيادة حرب العصابات، وكانت مشاركة جيرترود بيل ومعرفتها بالأساليب والعادات العربية قد ساعدتهم في صياغة تلك الأفكار.

فقد كانت مهمة بيل في البداية هي فهم تفاصيل السياسات العربية وتعقيداتها ومعرفة الشخصيات من الحجاز ومن القدس إلى مكة حيث كان يؤمل ان تبدأ الثورة ، وكان عليها جمع وترتيب جميع معلوماتها حول العشائر ومحاولة اكمال أي نقص فيها وتحديد القبائل وولاءاتها، وعداوتها وقد اعتادت بيل في كتابتها على صور قلمية

لشخصيات شيوخ العشائر ممن تعرفهم ، كما كانت في الوقت نفسه تقوم برسم طرق الصحراء والمنافذ التي يمكن المرور عبرها في المناطق الجبلية وتلك الفاصلة التي لا توجد بها مصادر مياه، ووسائل النقل والمصادر الطبيعية وذلك إلى جانب وضع ونفوذ الجماعات العرقية والدينية والأقليات [٤٠]. وهذا افاد المكتب خير افادة في فهم المنطقة وخباياها.

وسرعان ما فرغت بيل من صياغة تقريرها الأول حول العشائر الذي تلقته الحكومة باحترام كبير لشموله واهتمامه بالتفاصيل، وكانت بيل مشغولة بحل الخلاف فيما بين الحكومة في الهند و"المكتب العربي" وقد كتبت في خطاب إلى كابتن هول مدير الاستخبارات البحرية في لندن تقول فيه انه من المهم ان يظل هناك اتصال وثيق فيما بين الهند ومصر بما انهما يتعاملان مع جانبين من المشكلة ذاتها[٤١] .

وبعد مناقشات مطولة بين أعضاء "المكتب العربي" بدأوا العمل بجد لتحقيق الأهداف التي من اجلها أسس مكتبهم وهي:

١- إنجاح الثورة العربية المنطلقة من الحجاز تحت قيادة الشريف حسين وابنائه، والاتصال به بشكل مباشر عن طريق ارسال أحد ضباط المكتب ممن لديه خبرة ودراية كافية بالمنطقة العربية ولديه قناعة تامة بهذه الثورة وقدرة على توجيهها لخدمة المصالح البريطانية في المنطقة وضمان نجاحها في تحقيق أهدافها، وتم اختيار لورنس للقيام بهذه المهمة. ووضع الفريق الذي يتعامل مع الأمور في الحجاز وتطورات الثورة هناك في اتصال مباشر مع مكتب الحرب.

٢- السيطرة على الوضع في العراق بهدف احتلال بريطانيا عسكريا له وتشكيل حكومة تدين بالولاء لبريطانيا، واستوجبت هذه المهمة اختيار ضابط خبير في شؤون العشائر والقبائل داخل العراق، ووقع الاختيار على جيرترود بيل للقيام بهذه المهمة نظرا لخبراتها الواسعة والعميقة بالمنطقة وسكانها[٤٢] .

٣- جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات الدقيقة والموثقة عن الأقطار العربية التي تتطلع بريطانيا إلى احتلالها أو لها فيها مصالح سياسية أو اقتصادية، وفي مقدمة هذه البلدان فلسطين لتنفيذ المشروع الصهيوني بها، وليبيا، واليمن، والجزيرة العربية واستخدم "المكتب العربي" لتحقيق هذه المهمة عملاء محليين تم تجنيدهم لذلك إلى جانب بعض أعضائه الذي كان يتم توجيههم للقيام بمهام محددة داخل هذه الدول.

القضية الاولي: دور المكتب العربي في الثورة العربية.

عهد كلايتون Clayton رئيس "المكتب العربي" إلى الضابط لورنس(*) القيام بمهمة توجيه الثورة العربية وقيادتها والعمل كضابط ارتباط بين القائمين بالثورة والإدارة البريطانية (٤٣).

وتومس ادوارد لورنس هو أثرى ورحالة شغوف بالاكتشافات الاثرية، وكانت رحلته الأولي إلى المنطقة العربية في صيف عام ١٩٠٩ م، وبقي في بلاد الشام ما يقرب من ثلاث سنوات يقوم بأعمال التنقيب والبحث.

وعاش لورنس مددا متفاوتة في كل من حلب والموصل وبغداد ودمشق والقدس، واتقن اللغة العربية واللهجات المحلية لسكان المنطقة، إلى جانب اللغات الأخرى كالفرنسية والتركية والألمانية واللاتينية (٤٤)، ناهيك عن المعلومات التي تجمعت لديه فيما يتعلق بتقاليد مجتمعات المنطقة وتطوراتها التاريخية، الامر الذي جعل الاستخبارات العسكرية في القاهرة تستعين به في عدد من المهام السرية قبل اندلاع الحرب واثنائها(*).

وكان لورنس من اشد المقتنعين بالثورة العربية والمدافعين عنها بقوة، فلم تنقضي ثلاثة أشهر على وصول لورنس إلى القاهرة حتى وضع خطه " لاحتلال سوريا

بمساعدة الشريف حسين، شريف مكة المكرمة " وكانت كفيلة بأن تضمن للقوات البريطانية سلامة الزحف على دمشق بسرعة خاطفة قبل ان يسبقهم الفرنسيون إلى احتلالها ".

وقد ذكر لورنس في رسالة بعث بها إلى هوجارث تفاصيل تلك الخطة، وعبر فيها عن مخاوفه من أطماع فرنسا في الشرق الأوسط، وبأن فرنسا لا تركيا هي عدوة بريطانيا فيما يتعلق بسوريا وفي فبراير عام ١٩١٥م انجز خطه وضعها لمساندة الثورة العربية(٤٥) .

وقبل ان يبدأ لورنس مهمته في توجيه الثورة العربية كانت الإدارة البريطانية قد واصلت اتصالاتها بالشريف حسين وبدأت سلسلة من المراسلات المتبادلة بين المندوب السامي البريطاني في القاهرة هنري ماكماهون والشريف حسين عرفت برسائل (الحسين – مكماهون) ، بدأت هذه الرسائل في ١٤ يوليو عام ١٩١٥م حين كتب الشريف حسين إلى السير هنري مكماهون رسالة تحمل أول مقترحات محددة للاتفاق مع الانجليز بشأن اعلان ثورة العرب على الدولة العثمانية وذلك وفقا لما تم الاتفاق عليه في " بروتوكول دمشق " مع القوميين العرب في بلاد الشام ، فطلب الشريف ان تعترف إنجلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين – اطنة حتي الخليج العربي شمالا ومن بلاد فارس حتي خليج البصرة شرقا، ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوبا يستثني من ذلك عدن التي تبقي كما هي – ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتي سيناء غربا علي ان توافق إنجلترا أيضا علي إعلانه خليفة عربي علي المسلمين .

وجاء رد مكماهون علي الشريف يشوبه الغموض والمراوغة فقد أكد له حسن نوايا بريطانيا تجاه العرب ورغبتها في استقلال البلاد العربية وسكانهم وموافقتها على قيام خلافة عربية، اما فيما يخص تحديد الحدود فقد أكد مكماهون انه ليس من المناسب بحث مسائل الحدود اثناء الحرب، لاسيما وان بعض هذه الحدود مازالت بيد العثمانيين.

واستمرت المراسلات بين الطرفين بين الحاح الشريف حسين على بريطانيا لتحديد الحدود الجديدة للدولة العربية وبين مراوغة بريطانيا وتملصها من إعطاء وعد قاطع للشريف.

وانتهت هذه المراسلات بتاريخ ١٠ مارس عام ١٩١٦ م، حيث أكد مكماهون على استعداد بريطانيا ان تعترف باستقلال العرب وتقديم المساعدة لهم، واستعدادها لتحرير الأراضي المقدسة من أي اعتداء خارجي والاعتراف بوحداتها، وتقديم المساعدة للعرب عند طلبهم لها وتعاون بريطانيا معهم في تشكيل أفضل اشكال الحكم في مختلف البلاد العربية[٤٦] .

اما فيما يخص الحدود المستقبلية للدولة العربية المزمع انشأها بعد الحرب فقد وافقت الحكومة البريطانية على مطالب الشريف حسين بعد ان تم استبعاد محمية عدن، ومرسين–الاسكندرونة، وجنوب العراق (البصرة – بغداد) والمنطقة غرب دمشق – حمص حلب لفرنسا، ووافق الشريف حسين علي مطالب بريطانيا، على ان يكون من حقه المطالبة بالمنطقة الأخيرة بعد انتهاء الحرب[٤٧] .

وبناء على التفاهم الذي توصل إليه الشريف حسين مع بريطانيا العظمي، دعا الشريف العرب إلى الثورة ضد الحكم العثماني في ١٠ يونيو عام ١٩١٦م، وبدأت الثورة واستولت قوات الشريف حسين علي الطائف وجدة وينبع والوجه وسائر مدن الحجاز وحاصرت المدينة المنورة [٤٨].

ومعروف ان المدن الثلاث الأخيرة هي موانئ ذات أهمية كبري بالنسبة لموقعها علي البحر الأحمر ولكن العرب سرعان ما فقدوا الكثير من قوة اندفاعهم على أثر ما تعرضوا له من خسائر اثناء هجومهم على المدينة المنورة، ذلك الهجوم الذي كلفهم الكثير من الرجال والمؤن والعتاد[٤٩] .

في نفس الوقت التي كانت تتم فيه الاتصالات بين الشريف حسين والحكومة البريطانية ، كانت قد بدأت منذ مارس عام ١٩١٥م، مفاوضات اخري هذه المرة بين بريطانيا وفرنسا وروسيا أدت هذه المفاوضات إلى ابرام الاتفاقية التي عرفت باسم (

اتفاقية سايكس – بيكو) في مايو عام ١٩١٦ م، والتي تم علي اثرها تقسيم أملاك الدولة العثمانية بما فيها منطقة المشرق العربي علي الدول الأوروبية الثلاث ، فحصلت فرنسا علي سورية ولبنان وولاية اطنة ومرسين ، وحصلت روسيا في نطاق الاناضول علي الولايات الأربع المجاورة للحدود الروسية التركية وهي أرض روم وطرابيزون ووان وبلقيس (أرمينيا التركية) فضلا عن بعض المواقع الواقعة بين البحر الأسود وإقليم الموصل – اراميا .

اما بريطانيا فاستولت على أراضي ما بين النهرين بما في ذلك البصرة علي الخليج العربي، وبغداد، فضلا عن ثغري حيفا وعكا علي البحر المتوسط [٥٠].

وبدت الثورة العربية في البداية على هذا النحو ثورة فاشلة في نظر الكثيرين من ضباط الأركان الذين كانوا يتنبؤون بهزيمة الشريف حسين قريبا وتعليقه على اعواد المشانق هو ومن معه[٥١] .

ولكن الإدارة البريطانية في القاهرة وأعضاء "المكتب العربي " كانوا على قناعة تامة بأهمية هذه الثورة ونجاحها بالنسبة لبريطانيا، لذلك تم ارسال لورنس في مهمة خاصة ليكون ضابط ارتباط بين الثورة العربية والإدارة البريطانية في القاهرة[٥٢] .

سافر لورنس إلى جدة مع ستورز الذي كان يمثل همزة الوصل بين بريطانيا والحسين وابنائه، للتعرف عن قرب علي مسيرة الثورة العربية هناك، فالتقي لورنس وستورز بعبد الله بن الحسين ثم بزيد وعلي .

ومنذ الوهلة الاولي أدرك لورنس بأن الثورة العربية لكي تنجح وتحقق أهدافها لابد لها من قائد قوي الإرادة قادر علي ان يجمع البدو حوله وان يهيمن على الرجال الذين سيأتمرون بأمره، وبدأ يبحث عن هذا القائد في الحسين وابنائه[٥٣] .

واقنع ستورز الشريف حسين اثناء اتصال معه بالموافقة على زيارة لورنس إلى شبه الجزيرة العربية ومقابلة الأمير فيصل، وبأن مهمته هي البحث مع الأمير فيصل عن انجح الطرق التي يستطيع بواسطتها الانجليز ان يخدموا الثورة العربية ويساندوها

ويزودوا جنود الأمير فيصل بأحدث المعدات والمؤن لتعزيز خططه الهجومية ضد الاتراك.

وإزاء تلك التطمينات والوعود بتقديم الأسلحة للعرب، شعر الشريف حسين ببعض الارتياح وامر ابنه عبد الله بنقل لورنس إلى معسكر الأمير فيصل علي التلال القريبة من المدينة المنورة (٥٤) وبذلك بدأ لورنس مهمته واثناء رحلته لفيصل قابل أبناء الحسين الثلاثة الاخرين ودرس شخصية كل منهم.

فوجد ان الشريف حسين قوي الإرادة إلى حد يجعله غير صالح لغرض بريطانيا، اما علي أكبر أبنائه فبالرغم من انه وكما وصفه لورنس " سيدا دمث الخلق عالما بالفقه والدين ومتدينا إلى درجة التعصب "، فقد كان عليل الجسم وعصبيا، ولا يصلح كقائد لأنه يفتقد إلى الطموح.

وكما صرف النظر عن علي صرفه أيضا عن زيد أصغر أبناء الحسين وكان في التاسعة عشرة من عمره، لأنه شابا خجولا هادئا، امه تركية الأصل ولم يكن متحمسا للثورة العربية (٥٥)

كما استبعد لورنس أيضا عبد الله ثاني أبناء الحسين، الذي كان اول من طرح فكرة الثورة العربية أمام كتشنر والوحيد الذي ترك اثراً عميقاً في نفوس الغرب، لأنه داهية وطموح ويمثل دماغ الثورة العربية وهدفه الأول هو كسب الاستقلال للعرب وتأسيس دولة عربية على ان تكون إدارة هذه الدولة في اسرة الشريف حسين، وهذا يبدوا انه كان يتعارض مع مصلحة بريطانيا لذلك استبعده لورنس.

ووقع اختيار لورنس على فيصل ثالث أبناء الحسين، كقائد للثورة منذ الوهلة الاولي لرؤيته له ، اذ تجسدت فيه كل مواصفات القائد الذي يبحث عنه، فالورنس لم يكن يبحث عن رجل قوي يثير البدو في زحفهم نحو الشمال إلى سوريا فقط ، بل يبحث عن رجل مهيب الشكل يستطيع هو ان يؤثر فيه ، ويكون العقل المدبر له ويوجهه كيفما يشاء، وفي الوقت ذاته يكون قادراً علي فرض إرادته علي البدو، وقد تجلي ذلك بوضوح في وصف لورنس لفيصل بقوله " انه لم يكن مثقفا ، وان طبيعته

كانت تكره التفكير لأنه يشل حركته في العمل، لكن تكوينه الجسدي كان مثيرا : كان طويلا ، ورشيقا ونشيطا ، في رأسه وكتفيه هيبة ملكية ، وجزء كبير من تعبيره بالإشارة والايماء " [٥٦]

وقد اقنع لورنس فيصل بعد لقائه الأول به بأنه ما جاء ابدأ للتجسس علي العرب وانما مهمته هي الوقوف على حقيقة التقدم الذي أحرزته الثورة العربية، ومعرفة ما تحتاج إليه من مساعدة ومساندة، والاطلاع على الخطط التي ينوي الأمير فيصل تنفيذها في المستقبل ضد الاتراك وانه سيرفع تقريرا عن مشاهداته وانطباعاته إلى القاهرة حيث يوجد هناك العديد من الضباط الذين يتعاطفون مع قضية العرب ولن يترددوا في تقديم اية مساعدة ممكنة لهم في نضالهم الثوري[٥٧] .

وسرعان ما اقنع لورنس فيصل ورفاقه بصدق نواياه ورغبته الصادقة في مساندة الثورة العربية فحاذ على ثقة فيصل وأصبح من المقربين له وسمح له بالاطلاع على التفاصيل الخاصة بالمعارك والتنقل في بعض المناطق الجبلية التي سيطر عليها العرب.

بناء علي ذلك اعد لورنس تقريره الأول المفصل عن مشاهداته وانطباعاته عن أحوال الثورة العربية، وارسله إلى الكولونيل كلايتون رئيس "المكتب العربي" في القاهرة ، واكد فيه علي ضرورة تزويد الجيش العربي بأسلحة حديثة وذخيرة كافية، واموال وفيرة تضمن للثورة استمرارها وتحقيق أهدافها، وعارض في تقريره بشدة فكرة ارسال اية قوات اجنبية إلى ارض الجزيرة العربية ، لان وجود مثل هذه القوات هناك لن تحقق النتائج المرجوة ، بل ان العاقبة ستكون وخيمة ليس فقط بالنسبة إلى مجري الحرب، بل كذلك بالنسبة للثورة العربية لان هذا من شأنه ان يحفز رجال القبائل علي العودة إلى منازلهم والقاء السلاح من أيديهم، وهذا يعني انهم سيكفون عن متابعة النضال.

واكد علي ان مطالب فيصل الآن تنحصر في المال والسلاح والمؤن بالإضافة إلى نفر قليل من الضباط البريطانيين لتدريب رجال القبائل على كيفية استعمال الأسلحة الحديثة، ومثل هذه المطالب ستكون كافية.

وقد لاقي تقرير لورنس هذا صدي طيباً لدي العديد من ضباط القيادة واركانها، وكان سبباً في تراجع القائد العام للقوات البريطانية في القاهرة السير " ارشيبالد موراي Archibald Murray عن خطة ونجت Wingate القاضية بأرسال قوات عسكرية بريطانية وفرنسية مشتركة إلى الحجاز لمساندة الثورة العربية في شن هجوم على المدينة المنورة[٥٨]

عاد لورنس إلى القاهرة وعلم بصدي تقريره في دائرة القرار البريطاني، واخذ تعليمات اخري قبل ان يعزم العودة للحجاز لاستكمال دوره في توجيه فيصل والثورة العربية، وعلم قبل سفره بوجود معاهدة سرية تم توقيعها بين (بريطانيا وروسيا وفرنسا) اتفاقية سايكس – بيكو ، غايتها تقسيم أملاك الدولة العثمانية بعد احراز النصر عليها، وبالرغم انه لم يطلع علي بنود هذه الاتفاقية وتفاصيلها، الا انه كان متيقناً انها تتعارض وبشدة مع الوعود البريطانية للشريف حسين وابناءه ، فقد كان يعلم ان الوعود التي قطعتها بريطانيا للعرب ستظل حبراً علي ورق .

وقد كان عليه ان يختار بين ان يكون مستشاراً شريفاً للأمير فيصل وبذلك عليه ان يقنعه هو ورجاله بالعودة الي ذويهم وديارهم عوضاً عن المخاطرة بحياتهم في سبيل قصص وخداع بريطانيا ، او ان يستغل حماسة العرب المتقدة لخدمة الحرب البريطانية في الشرق الأدنى ، وقد اختار لورنس دون تردد خداع العرب وخدمة مصالح بلاده بريطانيا ، فأخذ يؤكد للعرب وفيصل علي ان بريطانيا ستحترم وعودها للعرب نصاً وروحاً ، ونظرا لثقة فيصل ورفاقه فيه كممثل لبريطانيا بينهم فما ان سمعوا منه هذه الوعود حتي دبت فيهم الحماسة من جديد وراحوا يحاربون بشجاعة فائقة الاتراك [٥٩].

الواقع ان لورنس وأعضاء "المكتب العربي" كان يحدوهم الامل في عدم تطبيق اتفاقية سايكس–بيكو، ف كلايتون رئيس "المكتب العربي" كان يري ان اتفاق سايكس – بيكو وثيقة غير قابلة للتطبيق، بخاصة ان جورج بيكو ليس له شعبية عميقة [٦٠].

اما هوجارث ولورنس فقد كان لهم وجهة نظر متقاربة إزاء هذا الاتفاق، اذ راو ان اتفاقية سايكس –بيكو سوف تتعرض للنقد الشديد فور الإعلان عنها لكونها عقدت سرا، وحتى اذا عقدت النية لتطبيقها فأن العرب اذا تمكنوا من الوصول الي دمشق أولا يستطيعون توطيد مطالبهم بها وستكون حجتهم لملكيتها اقوي لانهم هم الذين قاموا بفتحها واعتقدوا ان هذا سيكون كافياً للقضاء علي كل امل للفرنسيين في سوريا وللتراجع عن بنود اتفاقية سايكس –بيكو او حتي تعديلها[٦١] .

بدأ لورنس رحلته مع فيصل في التخطيط للثورة واقتضت خطة لورنس التخلي عن حصار المدينة المنورة والقيام بسلسلة معارك خفيفة على محطات السكك الحديدية والتلغراف والمخافر الصغيرة لإجبار القوات العثمانية على الانتشار على مساحة كبيرة في المنطقة وتنبيه القبائل العربية الي شخصية الأمير فيصل الداعية للتوحيد بينهم، وقد نجح لورانس وفيصل في تطبيق هذه الخطة الي حد بعيد وحققت نجاحاً كبيراً [٦٢].

تمكن لورنس من قطع الامدادات عن الجيش العثماني في المدينة بعد ان خرب خط سكة حديد الحجاز الذي يمتد على مسافة ١٣٠٠ كيلومتر في المنطقة المكشوفة في بادية الشام، اذ وضع متفجرات تحت القنوات الموجودة اسفل الخط وتحت دعائمه ليعطل القطارات المتوجهة إلى المدينة، وفي يوليو عام ١٩١٧م، استولي الجيش العربي بقيادة فيصل ولورنس علي ميناء العقبة واتخذا منها مركزا للقيادة، وانطلقت منه قواته تشن غارات متكررة علي المعاقل العثمانية في معان والطفيلة وفي نفس الوقت ظلت تشن سلسلة هجمات مستمرة علي خط سكة حديد الحجاز [٦٣].

حقق استيلاء الجيش العربي علي ميناء العقبة صدى واسعاً في الدوائر البريطانية وأصبح للورنس مكانة كبيرة واتصال مباشر بالقادة العسكريين البريطانيين، فالتقي اللنبي E.H.H.Allenby بعد تعيينه قائداً للقوات العسكرية البريطانية في الشرق

الأوسط، واقتنع اللنبي بوجهة نظر لورنس وخططه الخاصة بخط سير الثورة العربية، وفي شهر أغسطس من عام ١٩١٧م، استلم اللنبي أوامر من لندن للاستفادة من الاستيلاء على العقبة والتعجيل في التوجه إلى الأمام إلى فلسطين(٦٤).

فوضع لورنس واللنبي خطة محكمة ليكون الجيش العربي بمثابة الجناح الأيمن للجيش البريطاني اثناء اجتياح فلسطين فيقوم الجيش العربي بالزحف على شرقي الأردن والاستيلاء على دمشق وحلب في الوقت الذي يدخل فيه جيش اللنبي فلسطين، ووافق لورنس على القيام بهذه الخطة وطلب لتحقيق ذلك عدة مطالب منها امداد الجيش العربي بفرقة من الجمالة لنقل المؤن، وامداده ببعض المدافع الرشاشة وسبعمائة بعير لحمل المؤن والذخائر، وحماية الجيش العربي من جهة عمان اثناء حصاره لمعان.

فأمر اللنبي على الفور بإرسال فرقتين من الجمالة تحت إدارة بريطانية إلى الجيش العربي كما وعد بإرسال المدافع اللازمة وحماية الجيش العربي من جهة عمان ووضع اللنبي تحت تصرف لورانس ثلاثمائة ألف جنيه إسترليني كنفقات ضرورية للجيش(٦٥).

وانطلق فيصل ولورنس بعد هذه الامدادات البريطانية للجيش العربي في حصار معان ثم أسرعوا شمالا إلى مدينة الأزرق في اغسطس عام ١٩١٨ م ومن هذه القاعدة الجديدة انطلق الجيش العربي الذي زاد عدده إلى ثمانية آلاف رجل ليشكل مع جيش الجنرال اللنبي في فلسطين كماشة يوقع بها مدينة دمشق، التي سقطت بالفعل في ٢ أكتوبر عام ١٩١٨م(٦٦) فدخلها الجيش العربي بصحبة الجيش البريطاني ثم توالت الانتصارات فدخلت حمص وحلب وحماه، وخلال شهر واحد تم تحرير سوريا كلها، وكان اول ما فعله الأمير فيصل هو تشكيل حكومة عربية لأول مرة.

وكان لورنس اثناء رحلته الطويلة مع الثورة العربية يمد "المكتب العربي" بتقارير دقيقة ومفصلة عن تطورات الأوضاع داخل الجزيرة العربية ويقوم برحلات مكوكية إلى القاهرة يقابل فيها القادة العسكريين هناك ويتناقش معهم في الخطط العسكرية ويأخذ الامدادات اللازمة للجيش العربي من أموال واسلحة إلى ان دخل سوريا بصحبة الأمير فيصل فتم استدعاؤه للقاهرة من جديد (٦٧).

هكذا حققت الثورة العربية أهدافها وانتصرت ودخلت سوريا، وكان للمكتب العربي واعضائه وبخاصة لورنس دور كبير فيها وحقق المكتب بنجاحها فوزا عسكريا باهرا على حكومة الهند البريطانية.

وانتهت الحرب العالمية الاولي بهزيمة دول الوسط الدولة العثمانية وألمانيا والنمسا والمجر، وكانت الثورة العربية من اولي مسببات النصر لبريطانيا وحلفائها علي امل ان تكون هذه الثورة نواة لاستقلال بلاد العرب، ولكن العرب سرعان ما أصيبوا بخيبة الامل وأدركوا كما أدرك العالم اجمع ان لا قيمة لوعود تطغي عليها المطامع الإقليمية والسياسية، وانه لا حول لشعوب تستند لإظهار حقها ونيل استقلالها على معاهدات تتناولها السياسة العالمية بالتحريف والتبديل، حتى والالغاء اذا اقتضت مصلحة من يعنيهم الامر(٦٨).

والواقع ان سياسة المكتب العربي قد أصيبت بانتكاسة شديدة، بعد انتهاء الحرب حين اهتزت ثقة الحسين وابنائه في السياسة البريطانية، نتيجة لاتفاق سايكس – بيكو في مايو عام ١٩١٦م ، وتصريح بلفور في نوفمبر عام ١٩١٧م ، ولم تفلح محاولات الاسترضاء في بعث الثقة من جديد في نفس الشريف حسين أو غيره من القيادات العربية ، ذلك انه بالرغم من الوعود البريطانية بتكوين دولة عربية كبري، فان السياسة العملية التي تبنتها وزارة الخارجية البريطانية كانت تسعي إلى غير ذلك ، أو كما قال كلايتون في رسالة إلى وينجت ان الدولة العربية المقترحة "لا يمكن ان تظهر إلى الوجود الا اذا كنا حمقي" هنا بدا الخلاف الواضح بين ضباط المكتب العربي في مواقعهم في المشرق العربي والمسئولين في وزارة الخارجية ، التي يعنيهم أمور تشمل إلى – جانب الشرق الأوسط – علاقات بريطانيا بالقوي الكبرى، وغيرها من قضايا السياسة الخارجية (٦٩).

لذا بدأ أعضاء المكتب العربي وفي مقدمتهم لورنس في سلك سبل اخري لإقناع الساسة البريطانيين بضرورة العدول عن سياستهم تجاه العرب.

فعندما ايقن لورنس بعد دخول سوريا ان بريطانيا لن تفي بوعودها للعرب وانها تنوي تركها لفرنسا تطبيقا لاتفاقية (سايكس – بيكو)، قرر العودة إلى لندن بعد ان خزلته حكومته، وقد عبر عن ذلك بقوله "أدرك تماما اننا قد نبيع اصدقاءنا الصغار لأجل أصدقائنا الكبار أو نبيع امننا في المستقبل في الشرق الأدنى حتي ندفع ثمن نصرنا الحالي في الفلاندرز" لكن بالرغم من ذلك كان لورنس مصمما علي بذل قصاري جهده حتي يمنع ذلك من الحدوث، فهرع إلى بلده ليحاول البرهنة علي ان اتفاقية (سايكس – بيكو) قد ادركتها الاحداث، وان فيصل واخوته يجب ان يستولوا علي السلطة في المناطق العربية التي كانت خاضعة للإمبراطورية العثمانية، وليصر علي ان العرب ولأنهم حلفاء للبريطانيين يجب ان يتم تمثيلهم في مؤتمر السلام القادم في باريس، الذي سيبدأ في شهر يناير عام ١٩١٩م(٧٠).

وبدأ لورنس علي الرغم من انتهاء مهمته وحل "المكتب العربي" سلسلة من الاجتماعات مع كبار المسؤولين البريطانيين لإقناعهم بالقضية العربية لأنه كان علي قناعة بأن مهمته لن تنتهي إلا بالوفاء بوعوده للعرب، ففي اجتماع له مع وزير الخارجية البريطاني اللورد روبرت ساسيل Robert Sasiel طرح معه موضوع حكومة بلاد الرافدين وحثه علي انه يجب ان يكون احد أبناء الملك حسين هو الحاكم هناك، وفي اجتماع اخر مع لجنة الشرقيين في لندن وفي إجابة له عن سؤال اللجنة عن موقف الزعماء العرب تجاه الاستقرار في المنطقة ، اكد لورنس علي ان فيصل مؤيد للبريطانيين لكن استعداد مؤيديه لتقبل الحقوق البريطانية في فلسطين وبلاد الرافدين بالغزو قد يعتمد علي موقف بريطانيا اذ ما عارضت المطالب الفرنسية في المنطقة العربية .

وفي ظهور ثان للورنس أمام اللجنة الشرقية أكد لهم ان الحكومة البريطانية يجب أن تدعم الحضور العربي في مؤتمر السلام، وقد لاقي هذا الاقتراح استحسان من قبل ساسيل وزير الخارجية، لان هذا التمثيل العربي من شأنه دعم مطالب بريطانيا، وكذلك

اقتنع كرزون رئيس اللجنة، وتم ارسال لورنس لمصاحبة فيصل في مؤتمر الصلح في باريس[٧١] .

- **القضية الثانية: جيرترود بيل ودورها الاستخباراتي داخل العراق.**

في الوقت الذي كان فيه لورنس يقوم بمهمته البالغة الأهمية في التوجيه والتخطيط للثورة العربية والعمل على انجاحها بكافة الطرق الممكنة، كان "المكتب العربي" قد عهد إلى جيرترود بيل[*] Gertrude Bell للقيام بمهمة لا تقل أهمية عن مهمة لورنس وهي الذهاب إلى فرع المكتب في العراق لدراسة الأوضاع هناك وتقديم تقارير مفصلة عن العشائر والزعمات السياسية والدينية وتهيئة الوضع لاحتلال بريطانيا لها [٧٢]. فمن هي جيرترود بيل؟ ولماذا عهد إليها بهذه المهمة دون غيرها؟

جيرترود بيل G. L. Bell هي عالمة اثار ورحالة شغوفة بالشرق، ففي عام ١٩١١م قامت برحلة مرت فيها عبر سوريا وتركيا والعراق وسجلت الأماكن التي مرت بها او زارتها وطبيعتها الجغرافية ودرجات الحرارة والضغط الجوي [٧٣]، وفي عام ١٩١٣م قامت برحلتها الي شبه الجزيرة العربية فسافرت الي صحراء النفوذ ومنها الي حائل وعند عودتها توجهت الي بغداد ودمشق ثم الي إسطانبول، حيث قدمت تقريرا حول رحلتها الي وزارة الخارجية البريطانية ، واستخدمت وزارة الحرب المعلومات التي جمعتها بيل في هذه الرحلة لوضع خرائط جديدة للمنطقة .

وذكر هوجارث ان المعلومات التي قدمتها بيل علي قدر كبير من الأهمية وخلال الحرب أصبحت بيل خلال عام ١٩١٥م وما تلاها المترجمة لجميع التقارير الواردة من وسط الجزيرة العربية.

عندما بدأت الحرب تلوح في الأفق طلبت الحكومة البريطانية من بيل ان تقدم تحليلا للوضع السياسي في الشرق الأوسط[٧٤] والتحقق من مدي تغلغل النفوذ الألماني في الامبراطورية العثمانية في شمال الجزيرة العربية وشرقها[٧٥] .

وفي نوفمبر عام ١٩١٥م، استدعيت بيل إلى القاهرة للانضمام لفريق "المكتب العربي" وذلك لسعة اطلاعها ومعرفتها العميقة بالجزيرة العربية وشؤونها، واستفاد المكتب من معلوماتها في أسلوب التعامل مع العرب ومحاولة استمالتهم إلى جانب البريطانيين وتعبئة عواطفهم ضد العثمانيين وتشجيع القوات العربية للالتحاق بالبريطانيين(٧٦) .

وفي عام ١٩١٦م، عهد "المكتب العربي " في القاهرة إلى بيل للذهاب إلى العراق ومصاحبة الحملة العسكرية البريطانية عليها والقيام بمهمة ضابط اتصال ما بين فرع المكتب في العراق والقاهرة وكذلك حكومة الهند، واقترحت الإدارة البريطانية علي جيرترود بيل أن تذهب إلى النقاط الساخنة في الحرب (٧٧)، أي إلى البصرة الواقعة علي شط العرب والجزيرة العربية وبلاد فارس وكانت مهمتها ان تقوم بدور ضابطة اتصال بين أجهزة الاستخبارات في القاهرة ودلهي ، وان تقوم في الوقت نفسه بكتابة تقرير مفصل حول عشائر العراق وولاءاتهم، وكان عليها بذل كل ما في وسعها لأقناع العرب المحليين بالتعاون مع البريطانيين (٧٨).

فقد مثلت العراق أهمية بالغة بالنسبة للحكومة البريطانية في الهند وذلك لتأمين النفط وانابيبه ولحماية الطريق إلى الهند والتزود بالقمح من وادي الفرات ومنع العثمانيين من استخدام خط سكة حديد الذي يربط بغداد والبصرة لنقل الجنود، وتقديم المساندة لمسرح العمليات الحربية (٧٩).

ووصلت جيرترود بيل إلى الفرع الرئيسي للاستخبارات في البصرة تحت رئاسة كوكس Cox وخصص لها راتبا شهريا ثابتا للقيام بمهامها هناك (٨٠).

وسرعان ما حازت بيل على ثقة الجنرالات الأربعة المسؤولين عن الحملة العسكرية في العراق فقد كانت لديها معرفة بالوقائع الاستراتيجية للمنطقة وبينت لهم الفرق بين مسلمي الهند والعشائر البدوية في الشرق الأوسط التي تتمتع بالاستقلالية (٨١).

وانجزت بيل مهمة جمع المعلومات حول العشائر في منطقة ما بين النهرين بنجاح ولاقت تقاريرها استحساناً كبيراً من الحكومة والسياسيين البريطانيين في لندن ومصر حتي ان بلفورBalfour ومكماهون وتشمبرلين Chamberlain وزير الخارجية البريطاني قد اعربوا لجيرترود بيل عن امتنانهم وتقديرهم لمجهوداتها الكبيرة في العراق في ظل هذه الظروف الصعبة (٨٢)، وعندما استولت القوات البريطانية علي بغداد في مارس عام ١٩١٧م انتقلت بيل بصحبة كوكس المعتمد البريطاني في العراق إلى بغداد، ومنحها رتبة رسمية كمساعدة لمسؤول الشؤون السياسية تحمل اسم امين عام شؤون الشرق(٨٣).

وسرعان ما اشتهرت بيل بين اهل بغداد بعد ان اقامت شبكة واسعة من العلاقات الشخصية بالكثير من الزعامات القبلية والعرقية والدينية والسياسية هناك ونجحت في التعرف على مجتمع النساء هناك وعمل حفلات لهم تستقي منها معلوماتها، حتى لقبها اهل بغداد بلقب الخاتون أي السيدة، وفي ٩ نوفمبر عام١٩١٧م أصدرت سلطات الاحتلال في بغداد جريدة العرب واناطت لها رئاسة تحريرها، وكانت خلال وجودها في بغداد تعد التقارير لوزارة الحرب البريطانية.

وفي شتاء عام ١٩١٨م، سافرت جيرترود بيل إلى إيران في رحلة استغرقت شهرين، قطعت خلالها على صهوة جوادها جميع المناطق الكردية الواقعة هناك بمحاذاة الحدود العراقية، وكانت غايتها من هذه الرحلة تدوين المعلومات التي كلفتها الاستخبارات بجمعها عن إيران ثم عادت بعد ذلك إلى بغداد حيث أسهمت في ربيع عام ١٩١٩م، بوضع مشروع صك الانتداب على العراق مع هوجارث ولورنس بموافقة وكيل الحاكم الملكي العام. (٨٤)

امدت بيل "المكتب العربي" وحكومة الهند بتقارير مفصلة ودقيقة عن الأوضاع في بلاد ما بين النهرين(العراق) تضمنت هذه التقارير خرائط مرسومة بدقة لمناطق كثيرة داخل العراق وتحليل لشخصيات سياسية وقبلية يمكن الاستعانة بهم والاعتماد عليهم للتعاون مع بريطانيا واخرين يجب استبعادهم، كما برعت في التحليل الدقيق للقبائل

والعشائر الساكنة للعراق وكذا المذاهب المختلفة فيها، وقد أفادت هذه المعلومات الدقيقة الواردة في تقارير بيل الإدارة البريطانية افادة بالغة وساعدتها علي رسم سياستها تجاه منطقة ما بين النهرين علي أسس سليمة حتي نهاية الحرب وهزيمة العثمانيين واحتلال العراق بشكل كامل(٨٥).

والواقع انه لم تقتصر أعمال "المكتب العربي" على هاتين القضيتين (الثورة العربية واحتلال العراق) وان كانا هم اهم قضيتين تعامل معهما المكتب لذلك برز وبوضوح دور أعضائه فيهم (لورنس وبيل) بل كان للمكتب أعضاء آخرين يقومون بمهام لا تقل أهمية عن مهام بيل ولورنس الا انهم لم يحظوا بنفس الشهرة الواسعة للعملاء الاخرين، فقد اعتمد المكتب على عملاء محليين سريين امدوه بمعلومات هامة عن أجزاء اخري من الوطن العربي كليبيا واليمن ونجد وفلسطين ومصر، فقد أصدر المكتب تقارير مفصلة ودقيقة عن أوضاع الادارسة بليبيا (٨٦).

وقام هوجارث بجمع المعلومات الواردة له عن اليمن وصاغها في كتيب صدر عن المكتب تحت عنوان "كتيب اليمن" بتاريخ ١٥ يناير ١٩١٧م، احتوي هذا الكتيب على معلومات مفصلة ودقيقة عن مساحة اليمن والخصائص الطبيعية لها بما في ذلك التضاريس والمناخ، وعدد السكان، والمقاطعات والمدن الزراعية والصناعات والتجارة بالإضافة إلى العملة والموازين والمقاييس والشؤون السياسية، وفيلق جيش اليمن، والقبائل والشخصيات المؤثرة هناك، والطرق ووسائل الاتصالات، كما احتوي الكتيب على خريطة مبدئية لليمن.(٨٧)

كما أصدر "المكتب العربي" أيضا كتيباً آخر عن الحجاز تحت عنوان "كتيب الحجاز" صدرت الطبعة الاولي منه في يونيو عام ١٩١٦م، (٨٨) الا ان تطورات الاحداث بالحجاز ومعرفة المنطقة بشكل افضل ووجود عدد كبير من الأخطاء في الطبعة الاولي ادي إلى اصدار طبعة ثانية منه بتاريخ ٢٦ فبراير عام ١٩١٧م، واحتوي علي معلومات دقيقة عن الحجاز والخصائص الطبيعية له من مرتفعات ومناخ، وسكان الحجاز والحياة في الواحة والحضر والبادية، والأقاليم والبلدان،

والأقاليم الشمالية والوسطي والجنوبية ، والتكوين القبلي للحجاز وقبائل الحويطات ، وقبائل بنو عطية ، وجهينة ، وحرب ، وعتيبة ، وغيرها، وتاريخ الحجاز الحديث وحكومته، والاسرة الحاكمة فيه، والحج وطبيعته، والتجارة والصناعات، وطرق المواصلات المختلفة بداخله، وخريطة أولية للحجاز وجدول انساب الاسرة الشريفة الحاكمة في مكة منذ عام ١٨٢٧م، وما بعدها[٨٩].

كما ساهم أعضاء المكتب وبالأخص جيرترود بيل في الدراسات التي جمعها مكتب الحرب في كتاب عن تاريخ الجزيرة العربية مكون من جزئيين صدرا عام ١٩١٧م، وتضمنا كل ما يخص هذه المنطقة من معلومات جغرافية وسياسية واقتصادية وقبلية ومذهبية ...الي غير ذلك[٩٠].

كما اعدت جيرترود بيل أيضا تقريرا مفصلا عن التمرد ضد سلطان مسقط من مايو عام ١٩١٣م، إلى يوليو عام ١٩١٦م[٩١]، واعدت تقريراً اخر تحت عنوان "احد حكام الصحراء" مفصل عن زيارة عبد العزيز بن سعود إلى البصرة في ٢٧ نوفمبر عام ١٩١٦م، وصفت فيه بالتفصيل كيفية وصول ابن سعود إلى السلطة ونفوذه في العالم العربي وعلاقته بالبريطانيين ومظهره وشخصيته[٩٢] ، وفي عام ١٩١٩م، اعدت بيل تقرير عن سوريا تحت عنوان " سوريا في أكتوبر عام ١٩١٩م، " تحدثت فيه عن تطورات الأوضاع هناك [٩٣].

كما اعد أيضا أرنولد ويلسون Arnold Wilson كبير المسؤولين السياسيين عن قسم العراق بالمكتب العربي في وزارة الخارجية تقرير مفصل عن علاقة الحكومة البريطانية مع ابن سعود عام ١٩١٧م، ركز فيه على القبائل والشخصيات المهمة والطرق والاتصالات في المناطق الخاضعة لابن سعود [٩٤]

وتعد الكتيبات الصادرة عن "المكتب العربي" في حد ذاتها دراسات متكاملة الجوانب اقتصادية وسياسية وجغرافية للمناطق الصادرة عنها (اليمن – الحجاز –

الجزيرة العربية)، وكان يتم طبع هذه الكتيبات وتوزيعها علي الإدارات البريطانية المختلفة بهدف ان تكون بمثابة كتيبات مرجعية يرجع اليها المختصين بأخذ القرار قبل اتخاذ أي قرار خاص بمنطقة بعينها، لذلك كانت بالغة الأهمية ويتم تداولها داخل الإدارات فقط.

وقد جمعت تقارير " المكتب العربي " الصادرة تحت مسمي النشرة العربية (Arab Bulletin) والتي تناولت الاحداث السياسية في البلدان العربية في ثلاثة مجلدات وصل عدد صفحاتهم لأكثر من الفي صفحة محفوظة في سجلات وزارة الخارجية البريطانية وتعتبر عن حق مصدر دقيق ومفصل وغني بالمعلومات عن تاريخ المنطقة العربية خلال فترة الحرب العالمية الاولي(٩٥) .

دور أعضاء "المكتب العربي" في رسم السياسة البريطانية في المنطقة العربية بعد الحرب .

بعد نهاية الحرب ونجاح "المكتب العربي" في التخطيط لواقع جديد في الشرق الأوسط واستغلاله الاماني العربية في الاستقلال للقيام بثورة عربية ضد الاتراك وقيادة هذه الثورة وتوجيهها وفقا للمصالح البريطانية في المنطقة ونجاح فرع المكتب في العراق بجهود بيل في تمهيد الوضع هناك للاحتلال البريطاني، تم حل "المكتب العربي" بإيعاز من حكومة الهند البريطانية في عام ١٩١٨م.

ففي اعقاب انتهاء الحرب العالمية الاولي بدأت وزارة الحرب ووزارة الخارجية البريطانية وحكومة الهند مشاورات عدة حول مستقبل خدمة الاستخبارات البريطانية في منطقة الشرق الأوسط ، ووضعت اراء عدة للنقاش منها توسيع مهام "المكتب العربي" والإبقاء عليه قائماً في القاهرة مع انشاء فروع له في كافة البلدان العربية الخاضعة لبريطانيا او لها فيها مصالح استراتيجية ، وربط المكتب بفرع اخر في لندن ، ورأي اخر قائل بتضاؤل أهمية هذا المكتب ووجوب حله لتقليل النفقات مع الإبقاء علي خدمة جمع المعلومات تابعة للخدمات القنصلية في كل دولة وجمع كافة المعلومات

في مكتب متخصص في لندن ، والواقع ان هذه المناقشات خلصت الي حل "المكتب العربي" [٩٦].

الا ان مهمة المكتب في الواقع لم تنته بحله بل ساهم اعضائه في بلورة هذا النصر في مؤتمر الصلح في باريس وان كانت اماني أعضائه وبخاصة لورنس وهوجارث كانت تصبوا إلى إعطاء العرب حكماً ذاتياً تحت اشراف بريطاني افضل من ادخال فرنسا في المنطقة والتسليم بأطماعها الواضحة فيها، وتطبيق اتفاقية (سايكس – بيكو)، فقد تبلورت رؤية لورنس وهوجارث في ان فرنسا اكثر خطورة علي بريطانيا في المنطقة من انشاء دول عربية صغيرة تابعة لبريطانيا وقد عبر لورنس عن ذلك بقوله " في احد تقاريره التي أرسلها إلى الإدارة البريطانية في يناير عام ١٩١٦م، مؤكدا علي ان ثورة الحسين في الحجاز ستكون مفيدة لبريطانيا " لأنها تتمشي مع الأهداف الحالية : تحطيم الكتلة الإسلامية، والتغلب علي الإمبراطورية العثمانية وتمزيقها، اما الدول التي ستقام لتخلف الاتراك فستكون غير ضارة بنا كما كانت تركيا قبل ان تصبح ألة في يد الألمان، بل ان العرب اقل استقرارا من الاتراك فاذا احسنت معالجتهم ظلوا في حالة تفرق سياسي، ولايات صغيرة متحاسدة عاجزة عن الاتحاد" [٩٧].

لذا نجد ان أعضاء المكتب حاولوا جاهدين اثبات وجهت نظرهم في القضية العربية من خلال مشاركتهم في مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ م، ومؤتمر القاهرة عام ١٩٢٠م.

<u>– دور أعضاء المكتب في مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩م .</u>

ليس هناك من شك في ان العرب أصبحوا يعتقدون بأنهم قد تعرضوا للخيانة من بريطانيا، لكن على الرغم من ذلك كان يحدوهم الأمل في ان البريطانيين سيؤيدونهم في مواجهة الفرنسيين الذين يسعون لفرض حكمهم على البلاد العربية المتحررة[٩٨] .

وكان هذا هو اعتقاد فيصل بكل تأكيد الذي حضر مؤتمر الصلح في باريس بصحبة لورنس الذي ساعده في كتابة خطابه الذي القاه امام المؤتمر بتاريخ ٦ فبراير

عام ١٩١٩ وكان لورنس مترجما له أمام الوفود، وبني فيصل خطابه ومطالبه على أساس نداء ويلسونWilson من اجل حق تقرير المصير[٩٩].

فطالب باستقلال جميع البلدان العربية في اسيا الحجاز ونجد وشرقي الأردن وفلسطين وسوريا وبلاد الرافدين على أساس ان هذه المناطق غير منفصلة من الناحيتين الجغرافية والقومية، ولم يثير اية عراقيل بشأن تصريح بلفور، بل أكد ان الامر يعود إلى هجرة اليهود إلى فلسطين، وان كان قد عارض في إقامة دولة يهودية على ذات الأرض التي لا يمكن فصلها عن بقية العالم العربي.

هذا بالرغم من ان فيصل وبإيحاء من لورنس وبحضور بلفور عقد اتفاقية على هامش مؤتمر الصلح مع حاييم وايزمان اعترف فيها ضمنيا بتصريح بلفور وبإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين واشترط لدعمه هذا أن يتحقق للعرب استقلالهم[١٠٠].

فقد نجح لورنس في اقناع فيصل بأن العطف علي الاماني الصهيونية في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين قد تكون سببا في موافقة بريطانيا وحلفائها علي الوفاء بوعودهم التي قطعوها للعرب، ودبر لورنس اجتماعاً بين الأمير فيصل وحاييم وايزمان Chaim Weizmann اسفر هذا الاجتماع عن[١٠١]ان صادق الأمير فيصل علي تصريح بلفور، بل انه وقع اتفاقية (صاغها لورنس نفسه) مع القائد الصهيوني حاييم وايزمان في يناير عام ١٩١٩م، تنازل بموجبها عن فلسطين للحركة الصهيونية شريطة ان يفي حلفاؤه بجميع ما بقي من مطالب متعلقة بالمملكة العربية وكتب في نهاية الاتفاقية التي وقعها مع وايزمان انه اذا حدث أي تعديل في مطالب الهاشميين بشأن المملكة العربية أو أي حيد عنها فانه لن يلتزم بكلمة واحدة من نص تلك الاتفاقية .

والواقع ان موقف فيصل من الصهيونية يعود بالدرجة الأولي للورنس الذي يقدر تقديرا كبيرا حاييم وايزمان ويعطف علي الدوام علي الجنس السامي من اليهود والعرب، علي اعتبار انه جنس يشكل وحدة كاملة وفي الوقت ذاته كان لورنس وفيصل يعتقدون آنذاك بأن مثل هذا التأييد الاجوف للصهيونية يعتبر من حسن السياسة علي أساس ان هذا التأييد سيدعم اكثر فأكثر القضية العربية بين الوفود الامريكية

والبريطانية، وذلك عن طريق اظهار ان قيام دولة عربية مستقلة لن يتعارض مع مصالح اليهود ومطالبهم ، لكن من سوء حظهم ان اذعانهم لمطامع الصهيونية في فلسطين لم يكن كافيا لتأمين الاستقلال للعرب ، لأنه فشل في الحد من مطالب فرنسا في سوريا، وما كانت الإدارة البريطانية في الهند مصممة عليه من تأمين مصالح الغرب البترولية في بلاد الرافدين . والواقع ان بريطانيا كانت تجد ان مصالحها تحتم عليها الاتفاق مع فرنسا حتى وان جاء هذا على حساب العرب(١٠٢) .

لقد سبب وجود فيصل في باريس احراجا للبريطانيين والفرنسيين علي حد سواء، اذ كان يجبر البريطانيين علي الوفاء بعهدهم ويقف في وجه أطماع الفرنسيين الامبريالية، اوجد الأمريكيين مخرجا من هذا الموقف الذي اصبح يسبب حرجا للبريطانيين والفرنسيين والهاشميين اذ اقترح ويلسون تشكيل لجنة تحقيق متعددة الجنسيات للوقوف علي رغبة اهل سوريا مباشرة ورأي ويلسون ان اللجنة ستمثل نموذجا تتبعه الأوطان لتقرير مصيرها، مما يضع مبدأه في حق تقرير المصير التي اعلن عنه حيز التنفيذ، اما بريطانيا وفرنسا فرأيا ان لجنة تقصي الحقائق ستؤجل النظر في مطالب الهاشميين شهورا تتمتعان خلالها بحرية التصرف في الأراضي العربية حسبما تري، وخدع فيصل بظاهر الاقتراح، وشكر ويلسون علي منح العرب فرصة التعبير عن أهدافهم وتطلعاتهم بشأن مستقبل اوطانهم .

الواقع ان هذه اللجنة كانت بلا فائدة حيث امتنع البريطانيين والفرنسيين عن تعيين مندوبين عنهم فيها، وبهذا قللوا من شرعية اللجنة(١٠٣) ، وبهذا جاءت نتائج مؤتمر الصلح مخيبة لآمال العرب ولفيصل ولورنس وعاد كلا منهما إلى بلاده خالي الوفاض.

لم يكن لورنس هو الوحيد من اعضاء "المكتب العربي" المنحل في المؤتمر كذلك لعبت بيل دوراً كبيراً في الجدل الدائم المحتدم في أوساط الحكومة البريطانية حول وضع سياسة ما بعد الحرب في الشرق الأوسط ، وحضرت إلى جانب ارنولد ويلسون Arnold Wilson المعتمد البريطاني في العراق مؤتمر الصلح لمناقشة مستقبل العراق بعد الحرب، وكانت بيل في البداية تري ان العرب غير قادرين علي حكم نفسهم بنفسهم

دون وجدود مستشارين بريطانيين يتولوا توجيههم ، لكن رأي بيل الخاص بالقضية العربية، سرعان ما تغير تغيرا جزريا بخاصة بعد رحلة عودتها إلى بغداد مارة بالقاهرة ودمشق ومشاهداتها للوضع السياسي ومقابلاتها مع أبناء المنطقة من العرب وتحدثها إليهم وعقب مشاهدتها ما حدث في سوريا، أصبحت بيل تؤمن بمبدأ الحكومة العربية الذاتية وبناء عليه وضعت تقريرا حول رحلتها ضمنته رأيها القائل ان قيام دولة عربية في بلاد الرافدين ستكون فكرة مقبولة وقابلة للتطبيق خلال فترة وجيزة.

منذ ذلك التاريخ قادها تعاطفها مع القضية الوطنية إلى صراع دائم مع ويلسون، وغيره من الضباط السياسيين البريطانيين في بغداد، الذين كانوا لا ينظرون إلى الروح الوطنية بوصفها قوة يجب التكيف معها عوضا عن اسكاتها وكانوا مقتنعين أكثر بالحاجة للمحافظة على المصالح الاستراتيجية البريطانية في المنطقة المجاورة لحقول النفط في جنوب الخليج العربي(١٠٤) .

الواقع ان الإدارة البريطانية لم تلتفت إلى تقارير بيل أو آراء لورنس القاضية بضرورة إرضاء العرب والعطف على امانيهم الوطنية لان الأوضاع داخل هذه المنطقة على شفي الانفجار.

وبعد مؤتمر الصلح بأشهر قليلة عقدت بريطانيا وفرنسا مؤتمر سان ريمو في ٢٥ابريل عام ١٩٢٠م، والذي تقاسمتا فيه المناطق في بلاد الشام والعراق فأصبحت فلسطين والعراق تخضعان للانتداب البريطاني وسوريا ولبنان للانتداب الفرنسي، ونظر القوميين العرب للانتداب كذريعة للإبقاء علي الحكم الاستعماري وعم الاستياء سائر البلاد العربية (١٠٥).

وحاول لورنس وبيل مقاومة هذه السياسة البريطانية المتحالفة مع فرنسا على حساب العرب كلا في موضعه، فقد قدم لورنس في لندن مذكرة واحدة أخيرة الي وزارة الخارجية البريطانية تنبأ فيها بأن أي تدخل لفرنسا في المنطقة العربية سوف يؤدي إلى توحيد العرب ضد بريطانيا، وحذر من انه اذا لم ينخرط العرب اكثر في حكومة بلاد الرافدين (العراق) فأنه من المتوقع قيام ثورة هناك خلال اشهر قليلة(١٠٦) .

اما بيل فقد قاومت سياسة ويلسون القمعية في العراق وتعاطفت مع استقلال العرب، الامر الذي دفع ويلسون إلى كتابة تقرير إلى الحكومة البريطانية طالب فيه بأبعاد بيل عن العراق وتعينها في وظيفة اخري داخل بريطانيا، وأرسل وزير الدولة لشؤون الهند توبيخا لجريتيل بيل لأنها لم تساند ويلسون وغيره من الضباط البريطانيين في وقت فيه مستقبل العراق على المحك [١٠٧].

لكن سرعان ما تسارعت الاحداث إلى الأسوأ في المنطقة العربية خاصة بعد تحرك الفرنسين في سوريا بشكل قوي ضد فيصل وإصدار غورو Guru انذاره الشهير إلى فيصل الذي تلته حوادث التعبئة ومعركة ميسلون عام ١٩٢٠ التي انتهت بدخول فرنسا دمشق وسائر سوريا وطرد فيصل[١٠٨].

ولم تكن بريطانيا تتوقع من العرب ان يختاروا بين نوع من الحكم الأجنبي ونوع اخر وان يقبلوا بكل هدوء الاستسلام لبريطانيا أو فرنسا بدلا من الاتراك، وخاصة بعد ان اضرمت نيران الحماسة في صدورهم أثر الدعوة التي انتشرت آنذاك "بلاد العرب للعرب" لكن كل شيء كان يخالف هذا الواقع كما اظهر التاريخ[١٠٩].

تزامنت الاحداث السورية في نهاية عام ١٩١٩م، مع مقدمات ثورة العشرين في العراق، وتزامن خروج فيصل من سوريا مع ذروة الطور المسلح من الثورة نفسها [١١٠] حيث تأزم الوضع فيها نتيجة فشل الإدارة البريطانية في إقامة أي شكل من اشكال الإدارة الوطنية هناك، فاندلعت الثورة عام ١٩٢٠م، وواجه البريطانيين هذه الثورة بإجراءات قمعية، اذ قام ويلسون باتباع سياسة الأرض المحروقة التي تقضي بتسوية القري المتمردة بالأرض، ورأت بيل ان هذه السياسة عنيفة جدا، وتعاطفت مع العرب ودخلت في علاقة عدائية متبادلة مع ويلسون [١١١].

وكتبت بيل رأيها في ان اندلاع الثورة راجع في الأساس إلى سوء الإدارة البريطانية ورفضها إقامة مؤسسات للحكم الوطني داخل العراق وقالت " إذا كنا بدأنا بتأسيس مؤسسات محلية قبل سنتين، كنا الان قد حصلنا علي حكومة عربية، وجيش

وما كان عندنا ثورة قبائل، كل المال والارواح التي هدرت هذه السنة كان يمكن حفظها "[١١٢].

وقرر لورنس في نفس الوقت انتقاد سياسة الحكومة البريطانية، ونشر رأيه في سلسلة من المقالات، ففي رسالة إلى التايمز اللندنية في الثالث والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٢٠م، ألقى باللائمة في قيام الثورة على فشل إدارة ويلسون في بغداد بتنفيذ وعد بريطانيا في الحكم الذاتي وتنبأ ان كلفة قمع العصيان المسلح قد تصل إلى خمسين مليون جنيه إسترليني تلك السنة وأنها تضيف أعباء أكثر لنفقات الحكومة التي غير جاهزة لذلك، وطالبهم بترك الحكم للعرب [١١٣].

يذكر الجنرال البريطاني ويفل ان مجموع النفقات التي دفعتها بريطانيا على الثورة بلغت ١١ مليون جنيه انفق منها لورنس ٤٩٠ الف جنيه، وهذا مبلغ تافه بالمقارنة مع ما انفقته بريطانيا في ميادين الحرب بالشرق الأوسط ٧٥٠ مليون جنيه، ومع مبلغ ٤٠ مليون جنيه إسترليني لإخماد الثورة العراقية عام ١٩٢٠م، [١١٤].

ساءت الأوضاع في العراق يوما بعد يوم وبدا واضحا للإدارة البريطانية ان أسلوب القمع غير مجدي بالمرة في مواجهة الثورة داخل العراق، وفرضت الثورة العراقية علي البريطانيين ضرورة التراجع عن سياستهم تجاه بلادهم فقد اقتنعوا بضرورة اشراك العراقيين في حكم بلادهم في اطار نظام ملكي مرتبط بهم بصورة مباشرة[١١٥] لذلك بدأت الحكومة البريطانية باتخاذ عدة إجراءات سريعة لوضع حد لتدهور الأوضاع في العراق وإيجاد حلول لمشكلة الشرق الأوسط ، ففي أكتوبر عام ١٩٢٠م، تم استبدال ارنولد ويلسون بالسير بيرسي كوكس Percy Cox، الذي عين مفوضا ساميا في العراق وقد ارسل إلى بغداد ليلم الشمل ويعيد الاستقرار إلى العراق وينشئ شكلا جديدا لحكومة ستقوم بدورها بتطبيق بنود اتفاقية الانتداب التي وقعتها بريطانيا وتم التأكيد علي تعيين بيل في منصب السكرتير الشرقي للمعتمد السامي البريطاني في بغداد واستمرت بيل في القيام بواجباتها الإدارية، وأصدرت اكثر إنجازاتها نجاحا وشهرة وهو تقرير "مراجعة الإدارة المدنية في بلاد الرافدين" الذي

قامت به عام ١٩٢٠م[١١٦] وقد تناولت فيه الاحداث والوقائع بين ٦ أكتوبر عام ١٩١٤م، وهو يوم نزول الحملة البريطانية في الفاو إلى ١٥ اغسطس عام ١٩٢٠م، [١١٧].

وبتاريخ ١٤ فبراير عام ١٩٢٠م، تم تعيين المستر ونستون تشرشل Winston Churchill وزيرا للمستعمرات وعهد إليه بالبحث عن أفضل السبل لإنقاص النفقات وإيجاد أسهل الطرق لمعالجة القضية العراقية.

واخذ ونستون تشرشل يبحث عن وسيلة للوفاء بوعود بريطانيا ولو جزئيا على الأقل للشريف حسين وابنائه[١١٨] ، لذلك استعان في وزارته وزارة المستعمرات بفريق "المكتب العربي "من خبراء في شؤون الشرق الأوسط واتخذ منهم مستشارين له ليستعين بهم في رسم السياسة البريطانية في الشرق الأوسط في اعقاب الحرب [١١٩]، وعين لورنس مستشاراً لشؤون فلسطين[١٢٠].

وفي اليوم الخامس من شهر أغسطس عام ١٩٢٠ م، كتبت الصحف ان فيصل قد يصبح الحاكم المحتمل على بلاد الرافدين، وبدأ لورنس يروج لفيصل فكتب في صحيفة " الاوبزيرفر" Observer newspaper مؤكدا على ان رفيقه فيصل يستحق التعاطف لأن المعاملة التي لقاها علي يد غورو Guru كانت "ردا رديئا " لدعمه لبريطانيا فترة الحرب. وان الحل للأزمة في بلاد الرافدين يتمثل في إقامة دستور لحكومة عربية مدعومة من قبل المستشارين البريطانيين مما سيؤدي إلى توفير ملايين الجنيهات على الحكومة البريطانية.

كما كتب لورنس مقالين في جريدة التايمزThe Times newspaper، وصف فيهم فيصل بأنه " القائد العربي الأعظم منذ صلاح الدين ".

وقد حاول لورنس في المقال الأول ان يبدد فكرة ان فيصل كان " مشروعا" مدعوما بشكل سري من قبل بريطانيا، كجزء من مشروع ماكر لبسط النفوذ البريطاني إلى ما وراء منطقة السيطرة البريطانية واكد علي ان دوره في الثورة العربية قد تم المبالغة فيه.

وفي المقال الثاني اثني على جهود فيصل في تأسيس حكومة عربية في سوريا في اعقاب الحرب في ظروف صعبة[١٢١] .

ثانيا : مؤتمر القاهرة عام ١٩٢١ م، ودور أعضاء المكتب العربي فيه.

كانت اول إجراءات تشرشل بعد تعيينه وزيرا للمستعمرات هو الدعوة إلى عقد مؤتمر في القاهرة يضم خبراء بريطانيا في الشرق الأوسط في مارس عام ١٩٢١ م، لحل كل النقاط الخلافية في الشرق الأوسط، والتي تتمثل في:

- إنقاص النفقات البريطانية في منطقة الشرق الأوسط.
- إعادة النظر في السياسة المتبعة في الشرق الاوسط وعلاقة الدول الجديدة ببريطانيا العظمي.
- شخصية من سيتولى حكم العراق.
- نوع وشكل قوات الدفاع في الدول الجديدة التي ستتمتع بمسؤولية أوسع في الدفاع عن نفسها.
- وضع المناطق الكردية وعلاقتها بالعراق[١٢٢] .
- مشكلة " شرق الأردن " التي يجب ان تبحث بعناية، وشرق الأردن هي المنطقة الصحراوية التي تقع إلى الشرق من فلسطين، والتي كانت مسرحا للثوار العرب.

وبتاريخ ١٣ مارس عام ١٩٢١م، عقد مؤتمر القاهرة بحضور حاكم العراق الجديد السير "بيرسي كوكس" و"كلايتون" و"كورنواليس" وهو عضو سابق في المكتب العربي وأصبح فيما بعد سفيرا لبريطانيا في بغداد و "يونغ " واللورد " ترنشارد " مؤسس سلاح الجو الملكي، ولورنس، وجيرترود بيل، وجعفر باشا رئيس اركان حرب فيصل السابق[١٢٣] .

ولعب لورنس وبيل دوراً واضحاً في وضع فيصل علي عرش العراق وحشد اجماع أعضاء المؤتمر علي ذلك بعد استبعاد المرشحين الاخرين الواحد تلو الاخر

[١٢٤] (عبد الرحمن النقيب – طالب النقيب – والشيخ خزعل امير المحمرة، وابن سعود حاكم نجد، وغلام رضا خان الإيراني)، كما ناقش لورنس مع كوكس حدود العراق الجديدة واقترح ان تشمل دولة العراق الأراضي الكردية الشمالية في الخلف ووافقته بيل علي رأيه.

اما امارة شرق الأردن فاقترح لورانس ان يتم تعيين حاكم عربي فيها يؤثر فيه البريطانيين ويعتمد في حكمه عليهم ليكبحوا به معارضة العرب للصهيونيين ورشح الأمير عبد الله بن الحسين لهذا المنصب، وقد لقي هذا الاقتراح دعما من مجلس الوزراء في لندن[١٢٥] .

ولخص ونستون تشرشل قرارات مؤتمر القاهرة فيما جاء على لسانه اثناء خطاب له أمام مجلس العموم البريطاني في يونيو عام ١٩٢١ م حين قال " اننا نميل بشدة نحو ما يمكنني ان اسميه "حلا قائما على الأشراف" في بلاد الرافدين التي يتقدم نحوها الان الأمير فيصل، وفي شرق الأردن الواقع الان تحت سيطرة الأمير عبد الله " عن طريق وضع ابني الحسين علي العرش تحت إشراف الحكومة البريطانية[١٢٦]

وفي لقاء تم في القدس عام ١٩٢١م، بحضور عبد الله بن الحسين وهربرت صمويل Samuel المندوب السامي في القدس وتشرشل وزير المستعمرات ولورنس السكرتير العام لفلسطين، عرض تشرشل علي عبد الله أبن الحسين عرش شرق الأردن، وأخبره بترشيح اخوه الأمير فيصل كملك للعراق، اما فيما يخص فلسطين فنوه إلى تصريح بلفور وبأنه لا يستطيع البحث في هذا الشأن لان الامر سيترك للمندوب السامي في القدس.

ووافق عبد الله علي العروض البريطانية فيما يخصه هو وأخيه، اما فيما يخص وعد بلفور ووضع فلسطين، فأكد على ان اهل فلسطين يرفضون وعد بلفور ويصرون على عروبة فلسطين، وقال عبد الله مؤكدا على عروبة فلسطين "لا نستطيع ان نرضي بفناء اهل فلسطين من اجل يهود العالم، وانهم ليسوا كالنبات أو الشجر كلما قلم نبت"[١٢٧].

اما الأمير فيصل فقد قبل بعرش العراق على الفور، وتوج ملكا للعراق في ٢٣ أغسطس عام ١٩٢١م، وأصبحت بيل المستشار الشخصي والسياسي له واهتمت بالأمور المحلية وشؤون القبائل واشرفت على اختيار المعينين للمناصب الهامة في الحكومة الجديدة، وأصبحت بيل شخصية مؤثرة في الحكومة الجديدة ولتأثيرها علي الملك أطلق عليها العراقيين لقب الملكة غير المتوجة للعراق، والخاتون وتعني السيدة (١٢٨).

وعندما تمكن الملك من الحكم بنفسه بدأت علاقة بيل مع الملك فيصل تسير نحو النهاية، فبعد استقالة كوكس من منصبه في عام ١٩٢٣ م فقدت بيل قاعدتها القوية التي اوجدتها علي مدي طويل داخل الإدارة البريطانية، وأصبحت مع مرور الوقت تلقي المزيد من التهميش في العالم السياسي، التي طالما عرفت نفسها من خلاله إلى ان توفت في عام ١٩٢٦م،(١٢٩).

اما لورنس فقد كان قانعا جدا بقرارات مؤتمر القاهرة عام ١٩٢١ وراي ان نتائج هذا المؤتمر كانت باهرة، وبأن بريطانيا بذلك قد اتمت جميع تعهداتها التي جاءت في مراسلات الحسين – مكماهون فيما يخص فلسطين وشرق الأردن وشبه الجزيرة العربية اما بالنسبة لبلاد الرافدين فرأي لورنس ان ونستون تشرشل قد ذهب إلى ابعد من نصوص تلك المعاهدة معطيا العرب القسم الأكبر ومحتفظا لبريطانيا بالقسم الأصغر، وان بريطانيا بذلك قد خرجت من المعركة نظيفة اليدين. وان دوره قد انتهي بنجاح إلى هذا الحد فاستقال من منصبه كمستشار في وزارة المستعمرات واعتزل العمل السياسي وعاد إلى لندن (١٣٠).

هكذا نجح أشهر أعضاء "المكتب العربي" لورنس وبيل في أداء مهامهم وخلق أوضاع جديدة في منطقة الشرق الأوسط والمساهمة في رسم خارطة سياسية وجغرافية جديدة للمنطقة العربية وحاولوا جاهدين في كثير من الأحيان اثناء صانعي القرار في بريطانيا من اتخاذ قرارات خاطئة بشأن المنطقة العربية، وكان لهم الباع الأكبر في

رسم سياسة بريطانيا فيما بعد الحرب في المنطقة العربية ووضع الأمير فيصل علي عرش العراق والأمير عبد الله على عرش امارة شرق الأردن.

واذا حاولانا ان نقيم دور "المكتب العربي" في المنطقة العربية اثناء وبعد الحرب العالمية الاولي نجد وبوضوح ان المكتب وبرغم دوره البالغ الأهمية في جمع المعلومات الاستخباراتية عن دول المنطقة العربية ودور أعضائه البارز سواء في توجيه الثورة العربية أو في تهيئة الأوضاع في العراق للحملة العسكرية البريطانية عليها، الا انه وان نجح عسكريا في تحقيق النصر في المنطقة العربية لبريطانيا وقواتها، الا انه فشل سياسيا في لعب دورا فعالا في توجيه قرارات الساسة البريطانيين وتعهداتهم اثناء الحرب، فالمكتب ورغم خبرة اعضاءه في شؤون الشرق الأوسط لم يأخذ رأيه في معاهدة (سايكس – بيكو) التي عقدت بين بريطانيا وفرنسا لاقتسام المنطقة العربية بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب، وتم صياغة هذه المعاهدة وبنودها بمعرفة وزارة الخارجية البريطانية في لندن بعيدا عن أعضاء المكتب الذين لم يعرفوا تفاصيلها بشكل دقيق حتي بعد التوقيع عليها .

كما ان تصريح بلفور الشهير الذي أصدرته الحكومة البريطانية للصهاينة لم يكن للمكتب دورا فيه وانما وزارة الخارجية والساسة البريطانيين في لندن هم الضالعين في اصدار هذا التصريح، ولكننا في الوقت ذاته لا يمكن ان نغفل دور المكتب في تهيئة البيئة لاتخاذ هذه القرارات بناء على التقارير التي كانت تصدر عن المكتب العربي والتي احتوت على تفاصيل دقيقة عن أوضاع المنطقة العربية في هذا الوقت.

اما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولي فقد حاول أعضاء المكتب وبخاصة لورنس وبيل ان يكون لهما دوراً في توجيه السياسة البريطانية في المنطقة العربية وبرغم انهما وجدوا صعوبة في اقناع الساسة البريطانيين في الاخذ بآرائهم السياسية الا ان تطور الأوضاع السياسة في المنطقة العربية ابان الحرب العالمية الاولي وخذلان بريطانيا للعرب وما حدث في سوريا والعراق من تطورات ضد الاحتلال الفرنسي والبريطاني ، اجبر الحكومة البريطانية علي العودة للأخذ بآراء الخبراء في شؤون الشرق الأوسط

من أمثال لورنس وبيل الذي اصبح لهم دورا فعالا في تنصيب الأمير فيصل علي عرش العراق والأمير عبد الله علي عرش امارة شرق الأردن .

الحواشي

(١) –محمود صالح منسي: الشرق العربي المعاصر، ط ١، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٥.

(٢) –رأفت الشيخ: تاريخ العرب المعاصر، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص١١، نجيب صالح: تاريخ العرب السياسي ١٨٥٦ – ١٩٥٦، ط١، دار أقرأ، بيروت، ١٩٨٥، ص١٧٤.

(٣) –احمد عزت عبد الكريم: دراسات في تاريخ العرب الحديث، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ،١٩٧٠، ص٤٣٧، محمد انيس: الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤ – ١٩١٤)، ط١، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ص٢٦٧.

(٤) –رأفت الشيخ: مرجع سابق، ص ص٩ –١١.

(٥) –نجيب صالح: مرجع سابق، ص ١٧٧

(٦) –محمد انيس: الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤ – ١٩١٤)، ط١، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ، ص ص٢٧٥–٢٧٦ .

(٧) –نجيب صالح : مرجع سابق ، ص١٧١.

(٨) –للمزيد من التفاصيل حول عبد العزيز بن سعود وقتاله ضد ابن رشيد ودور النقيب ويليام إيرفين شكسبير، الوكيل السياسي في الكويت، في هذا الصراع انظر:

IOR/L/PS/18/B288: Relations with Bin Saud, 22 September 1918.

وأيضا انظر: صبري فالح الحمدي: برسي كوكس والسياسة البريطانية إزاء امراء نجد، الكويت، الحجاز، حائل، ١٩١٥–١٩٢٣، ط١، الدار العربية للعلوم، بيروت ٢٠١٦، ص ص ٣٤–٣٥.

(٩)- IOR / L/ PS/18/ B251 ; Relations with Ibn Saud : Not prepared by Arab Bureau Iraq section, 12 January 1917.

جورجينا هاويل: مس بيل ابنة الصحراء وعاشقة الشرق، جريدة القبس الكويتية، ١٩ / ٢ / ٢٠٠٧.

(١٠) -يوجين روجان: العرب من الفتوحات العثمانية الي الوقت الحاضر، ط١، مؤسسة هنداوي للتعلم والثقافة، القاهرة، ٢٠١١، ص١٨٩.

(١١) -محمود صالح منسي: مرجع سابق، ص ٥.

(١٢) – رأفت الشيخ: مرجع سابق ،ص ص١٨ – ١٩.

(١٣) – جورج لنشوفسكي: الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ج١، ط١، دار الكشاف للنشر والتوزيع، العراق، ص٩٢، يوجين روجان: مرجع سابق، ص١٩٠.

(١٤) -جورجيا هاويل: مس بيل ابنة الصحراء وعاشقة الشرق، جريدة القبس الكويتية، ١٧ / ٢ / ٢٠٠٧.

(١٥) -جورج لنشوفسكي: مرجع سابق، ص ص٩٢-٩٣، ت. أ. لورنس: أعمدة الحكمة السبعة، ط١، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت ١٩٦٣، ص ٢٨

(١٦) -رأفت الشيخ: مرجع سابق، ص ١٩.

(١٧) -ت. أ. لورنس: أعمدة الحكمة السبعة، ص١٥.

(١٨) -ت. أ. لورنس: أعمدة الحكمة السبعة، ص ص٢٥ – ٢٦، انتوني ناتنغ، لويس ثوماس: لورنس لغز الجزيرة العربية، ط١، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٩٩، ص ٥٤.

(19)- IOR/L/PS/10/ 576/1 ; German War – Arabia , the Arab Bureau at Cairo, Telegram From the Hon'ble the political Resident in the Persian gulf to the secretary to the government of India in the foreign and political Department , 2 November 1916 .

([20]) – IOR/L/PS/10/ 576/1 ; German War – Arabia , the Arab Bureau at Cairo, Constitution and functions of the Arabian Burean Suggested Scheme , 23 December1915 .

([21]) –IOR/L/PS/10/ 576/1; German War – Arabia, the Arab Bureau at Cairo, Organization Cairo, 23 December1915.

([22]) - IOR/L/PS/10/ 576/1; German War – Arabia, the Arab Bureau at Cairo, Decypher Sir H. Macmahon (Cairo) 8 January 1916.

([23]) – IOR/L/PS/10/ 576/1; German War – Arabia, the Arab Bureau at Cairo, Telegram from Viceroy, foreign Department, 24 December1915.

([24]) – IOR/L/PS/10/ 576/1 ; German War – Arabia , the Arab Bureau at Cairo, committee of Imperial Defense Whitehall Gardens , London ,S.W., 2 January 1916 :– IOR/L/PS/10/ 576/1 ; committee of Imperial Defense Establishment of an Arab Bureau in Cairo Report of an inter – Departmental Conference , 10 January 1916 .

([25]) – IOR/L/PS/10/ 576/1; German War – Arabia , the Arab Bureau at Cairo, Establishment of an Arab Bureau in Cairo A meeting of the conference took place at Whitehall Gardens at 7 January 1916 .

([26]) – IOR/L/PS/10/ 576/1 ; German War – Arabia , the Arab Bureau at Cairo, Department of stat to India , 24 February1916 .

(27) -IOR/L/PS/10/ 576/1 ; German War – Arabia، the Arab Bureau at Cairo، from foreign office to undersecretary of state for India , 28 February1916.

(28) - IOR/L/PS/10/ 576/1 ; German War – Arabia , the Arab Bureau at Cairo, telegram From Foreign office to Sir H. Mcmahon (Cairo) 2 Jun 1916 , Viceroy, foreign Department , 15 may 1916 ; war office , 12 April 1916 .

(29) - IOR/L/PS/10/ 576/1 ; German War – Arabia , the Arab Bureau at Cairo, telegram From Viceroy, foreign Department , 15 May 1916 .

(30) - IOR/L/PS/10/ 576/1 ; German War – Arabia , the Arab Bureau at Cairo, telegram From Secretary of State to viceroy , foreign Department 27 May 1916 .

(31) - IOR/L/PS/10/ 576/1 ; German War – Arabia , the Arab Bureau at Cairo, Chief Political office Basrah , to the Deputy Political Resident in the Persian Gulf Bushire ,15 July 1916 .

(32) - IOR/L/PS/10/ 576/1; telegram From D.M.I, Cairo to Sir Arthur Hicolson, f.o. 14 January 1916.

(*) ديفيد هوجارث David Hogarth هو عالم اثار ومستعرب من أكسفورد، كانت له وظائف متعددة، احداها وظيفة ضابط متخصص بشؤون الشرق الأوسط في دائرة المخابرات السياسية، واصبح رأيسا للجمعية الجغرافية الملكية، بينيلوب توست: مرجع سابق، ص١٩٧.

(٣٣)– جورجينا هاويل : مس بيل ابنة الصحراء وعاشقة الشرق ، جريدة القبس الكويتية ، ١٧ / ٢ / ٢٠٠٧ .

(34) – IOR/L/PS/10/ 576/1 ; German War – Arabia , the Arab Bureau at Cairo, Treasury chambers , to the under Secretary of State Foreign office , 31 July 1916 .

(35) – IOR/L/PS/10/ 576/1; German War – Arabia, the Arab Bureau at Cairo, Treasury chambers, to the under Secretary of State Foreign office, 2 September 1916.

(٣٦) – جورجينا هاويل : مس بيل ابنة الصحراء وعاشقة الشرق ، جريدة القبس الكويتية ، ١٨ / ٢ / ٢٠٠٧ .

(37) -IOR/L/PS/10/ 576/1 ; German War – Arabia، the Arab Bureau at Cairo، telegram From Viceroy، Foreign Department 20 June 1916.

(38)- IOR/L/PS/10/ 576/1 ; German War – Arabia , the Arab Bureau at Cairo, telegram From General officer commanding Force “D” to the secretary to the Government of India in the foreign and political Department , Simla , 8 May 1916 .

(٣٩) – جمال محمود حجر: القوي الكبرى والشرق الأوسط في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٩، ص١٧٠.

(٤٠) – جورجينا هاويل : مس بيل ابنة الصحراء وعاشقة الشرق ، جريدة القبس الكويتية ، ١٧ / ٢ / ٢٠٠٧ .

(٤١) – جورجينا هاويل : مس بيل ابنة الصحراء وعاشقة الشرق ، جريدة القبس الكويتية ، ١٨ / ٢ / ٢٠٠٧ .

([42]) - IOR/L/PS/10/ 576/1 ; German War – Arabia , the Arab Bureau at Cairo, telegram From Viceroy , Foreign Department 28 May 1916 .

(*)هو توماس ادوارد لورانس ولد في ١٦ اغسطس عام ١٨٨٨م ، في مقاطعة غالدواي الواقعة علي الشاطئ الغربي من ايرلندا، وكان شغوفا منذ صغره بدراسة الآثار والتنقيب عنها ، وفي عام ١٩٠٧ ، التحق لورانس بكلية يسوع في أكسفورد وهناك سجل لنفسه عدة اكتشافات رائعة عندما كان يقوم بأعمال التنقيب عن الآثار تحت مياه البحر ، واستطاع لورنس في غضون فترة قصيرة ان يسترعي انتباه بعض مشاهير علماء الآثار أمثال ليونارد وولي وهوجارث ، وقد بلغ اهتمامه بالحصون الصليبية حدا كبيرا دفعه للسفر إلى سوريا وفلسطين سعيا لدراسة القلاع الصليبية هناك والاطلاع عليها عن كثب وكانت رحلته الاولي إلى المنطقة العربية في صيف عام ١٩٠٩ م، وبقي في بلاد الشام ما يقرب من ثلاث سنوات يقوم بأعمال التنقيب والبحث. انتوني ناتنغ ، لويس ثوماس : مرجع سابق ، ص ص٥-٩ .

([43]) - IOR/L/PS/10/ 576/1; German War – Arabia, the Arab Bureau at Cairo, telegram From Viceroy, Foreign Department 28 May 1916.

([٤٤])- توماس ادوارد لورنس: ثورة في الصحراء مذكرات حول الثورة العربية الكبرى ، ط١ ،هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية ، ابوظبي ٢٠١٣ ، ص١٥.

(*) استدعي كلايتون لورنس الي القاهرة لأول مرة قبيل اندلاع الحرب بسنوات قليلة للاستفادة من خبراته وعهد إليه مع آخرين بدراسة شبه جزيرة سيناء وعمل خرائط جغرافية لها ،وبعد اتمامه هذه المهمة بنجاح ، قام لورنس بكتابة دليل عن منطقة سيناء بأسرها كي تستعمله الجيوش اثناء تنقلاتها وتحركاتها في المنطقة، وبعد اندلاع الحرب عين لورنس Lawrence بادئ ذي بدء في دائرة الخرائط التابعة لرئاسة القوات البريطانية في الشرق الأوسط، وكانت مهمته هي مراجعة الخرائط مع رفقائه بغية التعرف على مواقع القوات

التركية وكان لورنس علي دراية تامة بهذه المواقع ، نظرا لاطلاعه علي جميع المواقع الاستراتيجية التي كانت موجودة في المنطقة بأسرها ، اثناء رحلاته الميدانية لها، فقد كان يعرف مواقع جميع الحصون التي شيدتها جيوش الغزاة التي غزة الشرق الأوسط منذ القدم .واستطاع لورنس في فترة قصيرة ان يحوز علي ثقة وتقدير واحترام ضباط قيادة الجيش البريطاني، كما استطاع ان يدخل الرعب في قلوب العسكريين الاتراك وذلك نظرا لكونه اكثر منهم معرفة ودراية بالنسبة إلى المناطق التركية النائية في الداخل، الامر الذي جعله مرجعا للمعلومات الدقيقة عن منطقة الشرق الأوسط ، وطبيعة تكوينها ، ومعالمها الطوبوغرافية . لويل توماس: مرجع سابق، ص ص ٥٩-٦٠.

(٤٥) -انتوني ناتنغ، لويس ثوماس: مرجع سابق، ص ٣٩.

(٤٦) – للاطلاع علي نص الرسائل المتبادلة بين الشريف حسين ومكماهون انظر :

IOR / L / PS / 18 / B215: Sherif of Macca, 1915-1916.، IOR / L / PS / 18 / B222: Correspondence with Grand Sherif of Macca، 1914 – 1916.

وأيضا انظر: مكي شبيكة: العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الاولي، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧١، ص ص ٢٣٣-٢٣٧.

(٤٧) -عبد الله ابن الحسين: مذكراتي، ط١، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان – الأردن ١٩٨٩، ص١٠٧، جورج لنشوفسكي: مرجع سابق،ص ص١١١-١١٢.

(٤٨) -عبد الله ابن الحسين: مصدر سابق، ص١١٤، يوجين روجان: مرجع سابق، ص ١٩١.

(٤٩) -انتوني ناتنغ، لويس ثوماس: مرجع سابق، ص ٥٣.

(٥٠) -محمد انيس: مرجع سابق، ص ص٢٨٥-٢٨٦.

(٥١) – ت. أ. لورنس: أعمدة الحكمة السبعة، ص٢٩.

([52])- IOR/L/PS/10/ 576/1 ; telegram From Viceroy , Foreign Department 28 May 1916 .

([٥٣]) – ت.أ.لورنس: أعمدة الحكمة السبعة، ص ٣١.

([٥٤]) –انتوني ناتنغ، لويس ثوماس: مرجع سابق، ص٥٩.

([٥٥]) –لويل توماس: مغامرات مع لورنس في جزيرة العرب، ط١، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الامارات العربية المتحدة ٢٠١٣، ص٧٣.

([٥٦]) – ت.أ.لورنس: أعمدة الحكمة السبعة، ص ٣٢-٣٤.

([٥٧]) – انتوني ناتنغ، لويس ثوماس: مرجع سابق، ص٦٥.

([٥٨]) –نفسه، ص ص٧٢، ٧٧.

([٥٩]) –ت. أ. لورنس: مرجع سابق، ص٢٠٩.

([٦٠]) –جايمس بار: خط في الرمال "بريطانيا وفرنسا والصراع الذي شكل الشرق الأوسط"، ترجمة سلافة الماغوط ، ط١ ، دار الحكمة ، لندن ٢٠١٥ ، ص ٦٨ .

([٦١]) –جايمس بار: مرجع سابق، ص ص ٥٢ ، ٥٩.

([٦٢]) –توماس ادوارد لورنس: ثورة في الصحراء مذكراتي حول الثورة العربية الكبري، ص ١٢.

([٦٣]) –يوجين روجان: مرجع سابق، ص ص ١٩١-١٩٢.

([٦٤]) –جايمس بار: مرجع سابق، ص ٦٧.

([٦٥]) –شاكر خليل نصار: لورنس والعرب خلاصة اخبار الثورة العربية في وجه الاتراك اثناء الحرب الكونية العظمي، ط١، مطابع الأمير، بيروت، ١٩٣٠، ص ص ٥٤-٥٥.

([٦٦]) –يوجين روجين: مرجع سابق، ص١٩٢.

(٦٧) –للاطلاع على التفاصيل الدقيقة لدور لورنس في الثورة العربية وتفاصيل الثورة وكافة المعارك الحربية انظر نشرات المكتب العربي تحت عنوان النشرات العربية:
IOR / L / PS / 10 / 657: Arab Bulletin pt. 1 numbers 1 to 65, 1917, IOR / L / PS / 10 / 658: Arab Bulletin pt. 1 – 3 numbers 66- 114.

(٦٨) –نجيب صالح: مرجع سابق، ص ١٨٦.
(٦٩) – جمال محمود حجر: مرجع سابق، ص ص١٧١–١٧٢.

(٧٠) –جايمس بار: مرجع سابق، ص ٨٢.
(٧١) –نفسه، ص ص٥٨، ٨٩.

(*) ولدت جيرترود لوثين بيل في إنجلترا في ١٤ يوليو ١٨٦٨، لأسرة بريطانية ثرية، وعرفت منذ طفولتها بالجسارة والجرأة لدرجة التهور، وفي عمر ١٦ عام التحقت بجامعة أكسفورد قسم التاريخ، غريتيل بيل: أوراق منسية في تاريخ الجزيرة العربية، جريدة الجريدة الكويتية، العدد ٤٩٠ ، ٢١ / ١٢ / ٢٠٠٨ .

وتخرجت خلال سنتين لتصبح اول امرأة تحصل على مرتبة الشرف الاولي في التاريخ عام ١٨٨٦ ، وبعد التخرج من أكسفورد بدأت سلسلة رحلات حول العالم ، في عام ١٨٨٦ سافرت الي بوخارست ، زارة طهران عام ١٨٩٢ وتعلمت اللغة الفارسية ،وفي عام ١٨٩٩ بدأت رحلاتها للشرق الأوسط ، بينيلوب توسن : الدخول في اللعبة: ص ٢٠١ ، حيث سافرت الي فلسطين وسوريا والقدس وفي عام ١٩٠٥ درست الشؤون العربية علي نحو واسع واهتمت بدراسة الاثار المحلية وقابلت العديد من الزعماء والامراء العرب وشيوخ القبائل ، ونشرت ملاحظاتها في كتابها " البادية والحضر " وفي مارس ١٩٠٧ سافرت الي تركيا لدراسة الاثار هناك ، وفي يناير ١٩٠٩ توجهت الي العراق واكتشفت اثار هناك وعملت مباشرة في المواقع الاثرية ، غريتيل بيل : أوراق منسية في تاريخ الجزيرة العربية ، جريدة الجريدة الكويتية ، العدد ٤٩٠ ، ٢١ / ١٢ / ٢٠٠٨ .

(72) - IOR/L/PS/10/ 576/1 ; telegram From Viceroy , Foreign Department 28 May 1916 .

(73) - MS45158A :Diary of Gertrude Bell , 1911 , Volume I . 9 February to 18 Apr 1911, MS45158B: Diary of Gertrude Bell 1911, Volume II, 19 Apr 1911- 23 May 1911.

(٧٤) -بينيلوب توسن: الدخول في اللعبة " قصة النساء الغربيات في الجزيرة العربية"، ط١، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الامارات العربية المتحدة، ص ص٢٠٢-٢٠٦.

(٧٥) -جورجينا هاويل: مس بيل عاشقة الصحراء، مجلة القبس الكويتية، ١٨ / ٢ / ٢٠٠٧.

(٧٦) -غيرترود بيل: أوراق منسية من تاريخ الجزيرة العربية تقارير الاستخبارات البريطانية عن أوضاع الجزيرة العربية في الفترة من١٩١٦-١٩١٧، جريدة الجريدة الكويتية، العدد ٤٩١، ٢٢ / ١٢ / ٢٠٠٨.

(77) – IOR/L/PS/10/ 576/1 ; telegram From Secretary Balfour to State foreign office , 20 January 1917 .

(٧٨) -جورجينا هاويل: مس بيل ابنة الصحراء وعاشقة الشرق، جريدة القبس الكويتية، ١٩ / ٢ / ٢٠٠٧ .

(٧٩) -جورجينا هاويل: مس بيل ابنة الصحراء وعاشقة الشرق، مجلة القبس الكويتية، ١٨ / ٢ / ٢٠٠٧.

(80) - IOR/L/PS/10/ 576/1 ; telegram From Viceroy , Foreign Department 28 May 1916 .

(٨١)- جورجينا هاويل : مس بيل ابنة الصحراء وعاشقة الشرق ، جريدة القبس الكويتية ، ١٩ / ٢ / ٢٠٠٧ .

([82]) - IOR/L/PS/10/ 576/1 ; telegram From Secretary Balfour to State foreign office , 20 January 1917 .

([٨٣])- غيرترود بيل : أوراق منسية من تاريخ الجزيرة العربية تقارير الاستخبارات البريطانية عن أوضاع الجزيرة العربية من الفترة ١٩١٦- ١٩١٧ ، جريدة الجريدة الكويتية ، العدد ٤٩١ ، ٢٢ / ١٢ / ٢٠٠٨

([٨٤]) -جعفر الخياط: العراق في مذكرات المس بيل، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٣، ص١٨.

([٨٥]) -للاطلاع على التفاصيل الدقيقة لدور بيل في العراق انظر نشرات المكتب العربي تحت عنوان النشرات العربية:

IOR / L / PS / 10 / 657: Arab Bulletin pt. 1 numbers 1 to 65, 1917, IOR / L / PS / 10 / 658: Arab Bulletin pt. 1 – 3 numbers 66- 114.

([٨٦]) – انظر النشرات الصادرة عن المكتب العربي:

IOR / L / PS / 10 / 657 : Arab Bulletin pt. 1 numbers 1 to 65 , 1917 ,

IOR / L / PS / 10 / 658: Arab Bulletin pt. 1 – 3 numbers 66- 114.

([87])- IOR / L / MIL / 17 / 16 / 14 : Hand book of Yemen, 1917 .

([88])-IOR / L / PS / 20 / E81: Hand book of Hejaz, 1916.

([89])-IOR / L / MIL / 17 / 16 / 12: HAND book of Hejaz, 26 February 1917.

([90]) – IOR / L/ PS / 20 / E84 / 1: HAND book of Arabia, VOL. I, 1917, IOR / L/ PS / 20 / E84 / 2: HAND book of Arabia, VOL II, 1917.

(91) – IOR / L / PS / 18 / B398: The Revellion against the Sultan of Muscat, May 1913- July 1916.

(92) – IOR / L / PS / 18 / B248: A ruler of the desert, 27 November 1916.

(93)- IOR / L / PS / 18 / B337 : Despatch from civil commissioner , Mesopotamia , to secretary of state , December 1919 .

(94) -IOR / R / 15 / 6 / 35: File XXV/11 Arabian Affairs. Relations of British Government with Bin Saud, 12 Jan 1917-1 Mar 1917.

(95) – IOR / L / PS / 10 / 657 : Arab Bulletin pt. 1 numbers 1 to 65 , 1917 ,

IOR / L / PS / 10 / 658: Arab Bulletin pt. 1 – 3 numbers 66- 114.

(٩٦) للاطلاع علي هذه المناقشات انظر :

IOR / L / PS / 10 / 576 / 2: Middle East intelligence Service; 1919.

(٩٧) –نجيب صالح: مرجع سابق، ص ١٨١–١٨٣.

(٩٨) –انتوني ناتنغ، لويس ثوماس: مرجع سابق، ص ٢٦٤.

(٩٩) –جايمس بار: مرجع سابق، ص ص ٩١، ٩٧.

(١٠٠) – نفسه، ص ٩١.

(١٠١) –توماس ادوارد لورنس: ثورة في الصحراء، ص ص١٤–١٥.

(١٠٢)– انتوني ناتنغ ، لويس ثوماس : مرجع سابق ، ص ص٢٦٥–٢٦٨ .

(١٠٣) –يوجين روجان: مرجع السابق، ص ص١٩٧–١٩٨.

(١٠٤) -بينيلوب توسن: مرجع السابق، ص ص ٢٣٢-٢٣٣.

(١٠٥) -احمد طرابين: تاريخ المشرق العربي المعاصر، ط١، المطبعة الجديدة، دمشق ١٩٨٥، ص ٤٠٤، بينيلوب توسن: مرجع السابق، ص٢٣٤.

(١٠٦) -جايمس بار: مرجع سابق، ص ١١٧.

(١٠٧) -بينيلوب توسن: مرجع السابق، ص ٢٣٤.

(١٠٨) – نجيب صالح: مرجع سابق، ص ١٨٩.

(١٠٩) -انتوني ناتنغ، لويس ثوماس: مرجع سابق، ص ٢٨٣.

(١١٠) -عبد المجيد كامل عبد اللطيف: دور فيصل الأول في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١-١٩٣٣، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، العراق، ١٩٩٠، ص٣٤.

(١١١) -بينيلوب توسن: مرجع السابق، ص ٢٣٤.

(١١٢) -جايمس بار: مرجع سابق، ص١٣٨.

(١١٣) – نفسه، ص١٤٣.

(١١٤) -احمد طرابين: مرجع سابق، ص ٤١٢.

(١١٥) -عبد المجيد كامل عبد اللطيف: دور فيصل الأول في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١-١٩٣٣، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، العراق، ١٩٩٠، ص ٣٤.

(١١٦) -بينيلوب توسن: مرجع السابق، ص ٢٤٠.

(١١٧) -جعفر الخياط: مرجع سابق، ص١٨.

(١١٨) -يوجين روجان: مرجع سابق، ص٢٢٩.

(١١٩) -انتوني ناتنغ، لويس ثوماس: مرجع سابق، ص ص ٢٨٤-٢٨٥.

(١٢٠) -شاكر خليل نصار: مرجع سابق، ص٩٤.

(١٢١) -جايمس بار: مرجع سابق، ص ص ١٤٥-١٤٦.

(١٢٢) -عبد الرازق الحسيني: الثورة العراقية الكبرى، ط١، مؤسسة المحبين مطبعة سرور، العراق، ٢٠٠٠، ص٤٣٣.

(١٢٣) -انتوني ناتنغ، لويس ثوماس: مرجع سابق، ص ٢٨٦.

(١٢٤) -عبد المجيد كامل عبد اللطيف مصدر سابق، ص ٣٧.

(١٢٥) -جايمس بار: مرجع سابق، ص ص١٥٧-١٥٨.

(١٢٦) -يوجين روجان: مرجع سابق، ص٢٢٩

(١٢٧) -عبد الله بن الحسين: مصدر سابق، ص ص ١٨٩ – ١٩٠.

(١٢٨) -غيرترود بيل: أوراق منسية من تاريخ الجزيرة العربية تقارير الاستخبارات البريطانية عن أوضاع الجزيرة العربية في الفترة من ١٩١٦-١٩١٧، جريدة الجريدة الكويتية، العدد ٤٩١، ٢٢ / ١٢ / ٢٠٠٨

(١٢٩) -بينيلوب توسن: مرجع السابق، ص ٢٤٥.

(١٣٠) -انتوني ناتنغ، لويس ثوماس: مرجع سابق، ص ص ٢٨٨-٢٨٩.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر.

الوثائق البريطانية المنشورة:-

India Officel Library and Records:

IOR / L / MIL / 17 / 16 / 12: Hand book of Hejaz, 26 February 1917.

IOR / L / MIL / 17 / 16 / 14: Hand book of Yemen, 1917.

IOR / L / PS / 10 / 657: Arab Bulletin pt. 1 numbers 1 to 65, 1917.

IOR / L / PS / 10 / 658: Arab Bulletin pt. 2 – 3 numbers 66- 114.

IOR / L / PS / 18 / B215: Sherif of Macca, 1915-1916.

IOR / L / PS / 18 / B222: Correspondence with Grand Sherif of Macca، 1914 - 1916.

IOR / L / PS / 18 / B248: A ruler of the desert, 27 November 1916.

IOR / L / PS / 18 / B337: Despatch from civil commissioner, Mesopotamia, to secretary of state, December 1919.

IOR / L / PS / 18 / B398: The Revellion against the Sultan of Muscat May 1913- July 1916.

IOR / L / PS / 20 / E81: Hand book of Hejaz, 1916.

IOR / L/ PS / 20 / E84 / 1: Hand book of Arabia, VOL. I, 1917, IOR / L/ PS / 20 / E84 / 2 : HAND book of Arabia , VOL II , 1917 .

IOR / L/ PS/18/ B251; Relations with Ibn Saud: Not prepared by Arab Bureau Iraq section 1917.

IOR / R / 15 / 6 / 35: File XXV/11 Arabian Affairs. Relations of British Government with Bin Saud, 12 Jan 1917-1 Mar 1917.

IOR/L/PS/18/B288: Relations with Bin Saud, 22 September 1918.
IOR/L/PS/10/ 576/1; German War – Arabia, the Arab Bureau at Cairo.
IOR / L / PS / 10 / 576 / 2: Middle East intelligence Service; 1919.
MS45158A: Diary of Gertrude Bell, 1911, Volume I, 9 February to 18 Apr 1911.
MS45158B: Diary of Gertrude Bell, 1911, Volume II, 19 Apr 1911- 23 May 1911.

الرسائل الجامعية:

-عبد المجيد كامل عبد اللطيف: دور فيصل الأول في تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١-١٩٣٣، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، العراق، ١٩٩٠.

ثانيا : المراجع :

- احمد طرابين: تاريخ المشرق العربي المعاصر، ط١، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٨٥.

- احمد عزت عبد الكريم: دراسات في تاريخ العرب الحديث، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠.

- انتوني ناتنغ، لويس ثوماس: لورنس لغز الجزيرة العربية، ط١، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٩.

- بينيلوب توسن: الدخول في اللعبة " قصة النساء الغربيات في الجزيرة العربية، ط١، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الامارات العربية المتحدة.

- ت. أ. لورنس: أعمدة الحكمة السبعة، ط١، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٦٣.

– توماس ادوارد لورنس: ثورة في الصحراء مذكرات حول الثورة العربية الكبرى، ط١، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، الامارات العربية المتحدة، ٢٠١٣.

– جايمس بار: خط في الرمال "بريطانيا وفرنسا والصراع الذي شكل الشرق الأوسط"، ترجمة سلافة الماغوط، ط١، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٥.

– جمال محمود حجر: القوي الكبرى والشرق الأوسط في القرنين التاسع والعشرين، ط١، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، مصر، ١٩٨٩.

– جعفر الخياط: العراق في مذكرات المس بيل، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٣.

– جورج لنشوفسكي: الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ج١، ط١، دار الكشاف للنشر والتوزيع، العراق.

– جورجيا هاويل: مس بيل ابنة الصحراء وعاشقة الشرق، نشر على حلقات في جريدة القبس الكويتية في الفترة من ١٠ / ٢/ ٢٠٠٧ الي ٢٧ /٢/٢٠٠٧.

– رأفت الشيخ: تاريخ العرب المعاصر، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٤.

– شاكر خليل نصار: لورنس والعرب خلاصة اخبار الثورة العربية في وجه الاتراك اثناء الحرب الكونية العظمي، ط١، مطابع الأمير، بيروت، ١٩٣٠.

- لويل توماس: مغامرات مع لورنس في جزيرة العرب، ط١، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الامارات العربية المتحدة، ٢٠١٣.

- محمد انيس: الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤ - ١٩١٤)، ط١، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.

- محمود صالح منسي: الشرق العربي المعاصر، ط ١، القاهرة، ١٩٩٠.

- مكي شبيكة: العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الاولي، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١

- نجيب صالح: تاريخ العرب السياسي ١٨٥٦ - ١٩٥٦، ط١، دار أقرأ، بيروت، ١٩٨٥.

-عبد الرازق الحسيني: الثورة العراقية الكبرى، ط١، مؤسسة المحبين مطبعة سرور، العراق.

-غيرترود بيل: أوراق منسية من تاريخ الجزيرة العربية تقارير الاستخبارات البريطانية عن أوضاع الجزيرة العربية في الفترة من ١٩١٦-١٩١٧، نشر على حلقات في جريدة الجريدة الكويتية من العدد ٤٩٠ حتى العدد ٤٩٨، من تاريخ ٢١ حتى ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٨.